الإنساني 57

تحديث متحف استثنائي

عندما لا تعكس المرآة صورتك الحقيقية [الملف]

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد السابع والخمسون
ربيع / صيف 2014

كاريكاتور

(*)

عبد الرحيم ياسر، العراق

(*) لوحة حفر مشهورة للفنان التعبيري «إدوارد مونش» بعنوان «الصرخة».

دعوة للتواصل المسؤول

في زمن تغلب فيه الثقافة السمعية والبصرية على ما دونها من وسائل استقاء المعلومات والمعرفة يجد الكثيرون أنفسهم في مواجهة نقاشات لا تستند في غالبيتها إلا لما قرأوه على تويتر وفايسبوك أو شاهدوه على التلفاز أو يوتيوب. وإذا كانت وسائل الاتصال الحديثة هذه قد فتحت الباب لحرية تبادل المعلومات وانتشارها معلنة أن عصر احتكار المعلومات أو الرقابة عليها بأشكاله التقليدية قد ولى، إلا أنها أيضًا فتحت الباب على مصراعيه لانتشار أخبار واتهامات بعضها يمكن تبريره ثقافيًا والبعض الآخر لا يعدو أن يكون نتاج خيال من كتبه.

هذا الامر واجهته وتواجهه يوميًا اللجنة الدولية للصليب الأحمر في كثير من الأماكن التي تعمل بها حول العالم ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط. ومن متابعتنا الدقيقة لما يقال وينشر في وسائل الإعلام الاجتماعية وجدنا أن هناك ثلاثة اتهامات جاهزة دومًا لوصم اللجنة الدولية وهي: أنها «منظمة تبشيرية تنصيرية» أو أنها منظمة «مرتهنة للغرب وتنفذ أجندات استعمارية» وأخيرًا أن مؤسسها عضو في جماعة الماسونيين! كل هذه الاتهامات ليست بجديدة فهي كانت ولا تزال من ضمن مجموعة اتهامات تستخدم من حين لآخر من قبل أي كان، إما جهلًا بما تقوم به اللجنة الدولية أو بسبب سوء الفهم لطبيعة شعار اللجنة التي انطلقت في سويسرا قبل 150 عامًا أو ببساطة لغرض في نفس يعقوب.

ما اختلف اليوم هو أنه ومع تغير وسائل الاتصال وسرعة انتشار أي معلومة أو خبر أصبح من غير الممكن التغاضي عن مثل هذا النوع من الأخبار وتأثيراتها المباشرة أو غير المباشرة على عملنا في الميدان، لا سيما في المناطق المشتعلة. وإذا كانت السياسة الإعلامية للجنة الدولية قد تغيرت على مدى السنوات العشر الأخيرة نحو المزيد من الانفتاح على الإعلام والتخلي عن جملتها الأثيرة «لا تعليق»، وإن كنا لا نعتقد بضرورة أن نرد على أي اتهام من أي مصدر جاء، مؤثرين أن يكون عملنا والتزامنا بمبادئ الإنسانية والحياد وعدم التحيز هو الرد المناسب والعملي على هذا النوع من الشائعات إلا أننا رأينا أنه قد يكون من المفيد توضيح بعض المسائل التي ترتبط بتاريخ المنظمة وشعارها وتطوره وهو ما تتكرر التساؤلات حوله.

من هنا جاءت فكرة ملف هذا العدد من مجلة «الإنساني» والذي يصدر بعنوان «عندما لا تعكس المرآة صورتك الحقيقية». وقد حاولنا في هذا الملف أن نطرح عددًا من المسائل الشائكة نوضحها من خلال شهادات كتبها عاملون في اللجنة الدولية وآخرون من خارجها اختبروا عملها، سواء أكانوا شركاء في العمل الإنساني أو ضحايا عملت اللجنة الدولية على دعمهم في ظروف الاحتجاز أو اللجوء أو النزاع.

قد لا يكون هذا العدد من الإنساني سوى خطوة أولى نحو توضيح وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ولا ندعي أننا أجبنا فيه عن كل التساؤلات التي قد تدور في أذهان البعض، لكنها أساسًا دعوة للبحث والقراءة والمعرفة بعيدًا عن وسائل الاتصال الاجتماعي فقط بل بالعودة لمصادر معلومات موثقة تتخطى مجرد بضع كلمات قد يكون نقرها على جهاز الكومبيوتر شخص يستلقي براحة على أريكته ويطلق أحكامًا غير مسندة أو مسؤولة، قد تكلف البعض منعهم من تقديم المساعدة لمن يحتاجها من ضحايا النزاعات وتكلف البعض الآخر حياته.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير زينب غصن
مدير التحرير آمال عويضة
المستشار القانوني د. عامر الزمالي
مستشارا التحرير محمد بن أحمد
مارسال إيزار

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_csc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني أحمد اللباد

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

AFP

ICRC

57

ربيع / صيف 2014

خطوات واسعة على طريق المشاركة والتعاون ..... حوار: زينب غصن 05

الملف: عندما لا تعكس المرآة صورتك الحقيقية 09

تحديات في مواجهة اللجنة الدولية في أجزاء من العالم الإسلامي ..... أندرياس فيغر 10

الشارات الثلاث .. مصدر قوة ونقطة ضعف ..... آمال عويضة 14

إيران: الأسباب وراء تقبل عمل اللجنة الدولية ..... موشغان محمد 18

العراق: تجربة معاصرة من سوء الفهم – 3 شهادات 20

أن تحمل صليبًا أحمر في أرض المسلمين 22

اليمن: تجربة اللجنة الدولية لتجاوز حواجز الشك والمخاوف 24

نحن في عيونهم :

شهادات من اليمن والسعودية والكويت ومصر 27

شهادة معتقل سابق في غوانتانامو ..... سامي الحاج 30

هيئة الإغاثة الإسلامية واللجنة الدولية.. تحالف من أجل الإنسانية د.نبيل موسى 32

تحية إلى ميكائيل 34

كامارا: حصلت على فرصة ثانية للحياة ..... ألكسندرا ماتشيفتش- موسيمان 35

تصورات مغلوطة تجتاح العالم الافتراضي ..... محمد علام فرغلي 37

القوالب والصور النمطية في السينما المصرية ..... محمود الغيطاني 40

قصة فوزية: مأساة خريف العمر ..... ريما كمال 42

الصليب الأحمر جواز سفري ..... فطوم أبو غوش 43

تحديث المتحف الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر ..... آمال عويضة 44

الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني ..... ريم نرجس قاسم 46

أحفاد الأمير عبد القادر ..... ليندا بوعلي 48

مبادرة العمل للأمل.. مبادرة لاستعادة البهجة ..... آمال عويضة 49

بلا رتوش: دفاعًا عن نصف سرير ..... ياسر الزيات 52

قصص قصيرة جدًّا: اندهاشات أخيرة ..... عادل العجيمي 54

من أركان العالم 55

إصدارات 58

حاورته: زينب غصن

مستشار اللجنة الدولية لشؤون العالم الإسلامي:

خطوات واسعة على طريق المشاركة والتعاون

طيلة 25 عامًا تقريبًا، ارتبط اسم الحقوقي التونسي الأصل د.عامر الزمالي بالعمل باللجنة الدولية للصليب الأحمر كمستشار لشؤون العالم الإسلامي، وكأحد أهم المستشارين المتخصصين بالقانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية. لكنه اختار في تشرين الأول/أكتوبر الماضي التقاعد ليتفرغ لكتاباته وأوراقه البحثية. في هذا الحوار معه يشرح د. الزمالي الأسباب التي دفعته للاهتمام بالشريعة الإسلامية، والعلاقة بينها وبين القانون الدولي الإنساني، ويسترجع بعضًا من ذكرياته في العمل الإنساني، والتحديات التي واجهها.

ولد د. **عامر الزمالي** سنة 1955 في **تونس**، ومنها حصل على الإجازة في القانون، وشهادة الكفاءة لمهنة المحاماة من كلية الحقوق، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا، ودرجة الدكتوراه من جامعة **جنيف**. و**للزمالي** مقالات ودراسات عدة تناولت الإسلام والقانون الدولي الإنساني.

■ كيف تصف سنوات عملك مع اللجنة الدولية؟ كيف بدأت، وما هي أهم المراحل التي مررت بها؟

تنقسم سنوات عملي باللجنة الدولية إلى مرحلتين: الأولى، مرحلة التعرف إلى اللجنة الدولية في الفترة من 1983 إلى 1990، وبالتعاون معها للقيام ببعض المهام لصالح دائرة الشؤون القانونية. ففي ضوء متابعتي لتطورات الحرب العراقية–الإيرانية (1980– 1989)، وأُسس معاملة ضحايا الحرب الدائرة بين دولتين إسلاميتين؛ جاء اختياري لدراسة قانون النزاعات المسلحة، كمجال للتخصص الدقيق في القانون الدولي العام. وهكذا، شددت الرحال إلى مكتبة **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** في **جنيف**، باعتبارها إحدى قلاع القانون الدولي، إلى جانب **لاهاي** ومدن أخرى. أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة العمل المنتظم منذ 1990، وتراوح ما بين دائرة الشؤون القانونية في مقر اللجنة الدولية في **جنيف**، والمهمات الميدانية، والتي استمرت وصولًا إلى التقاعد المبكر، مؤخرًا. وطيلة تلك السنوات استمتعت بعملي الذي كان ولا يزال مفيدًا وثريًّا بقدر استهلاكه لسنوات العمر، وهو ما دفعني لاتخاذ القرار بالابتعاد عن الإطار الرسمي، والاتجاه إلى التفرغ للبحث والكتابة في المجال نفسه.

■ ما هي أهم الصعوبات التي واجهتك في أثناء عملك؟ وما هي أهم ذكرياتك؟

مثلما كان لقدومي من **تونس**، حيث تلقيت معظم دراستي على يد أساتذة تونسيين وفرنسيين، الفضل في انفتاحي على الثقافات الغربية، وخاصة الناطقة بالفرنسية، تسبب الانتماء ذاته، في مواجهتي لبعض العراقيل المتعلقة بجنسية مندوب اللجنة الدولية، حيث ما زالت بعض الدول العربية ترفض استقبال

AFP

مندوبين ذوي جنسيات عربية لزيارة السجون على سبيل المثال.

بصفة عامة، يمكنني القول إن الصعوبة الأهم تكمن في موضوع الحياد الذي ينبغي أن يتمتع به الموظف باللجنة الدولية. في حالتي، كان الأمر يتعلق باستشهاد أخي الأكبر في العام 1961 في معركة **بنزرت** في ظل الاستعمار الفرنسي، وهو ما تطلب تدريبًا ذهنيًّا للتأقلم مع منظمة قوامها الحياد، الذي يعتبره العاملون باللجنة الدولية خبزهم اليومي حتى يكونوا على مسافة واحدة من جميع الأطراف في أي نزاع. من جهة أخرى، عاصرت صعوبات تاريخية تزامنت وطبيعة عقد الثمانينيات في ظل عالم ثنائي القطبية، كما أن العديد من الدول وخاصة المنتمية للمعسكر الشرقي وقتئذ، كانت تنظر للعمل الإنساني بكثير من الريبة والشك. وما تلا ذلك من انعكاسات حرب الخليج الثانية التي بدأت باجتياح **الكويت** في الثاني من آب/أغسطس 1990، وما زالت تبعاتها مستمرة بما تركته من آثار على العراق، وجيرانه، والعالم.

■ كان لك دور في وضع منظومة ربط القانون الدولي الإنساني بمبادئ الشريعة الإسلامية، كيف كانت بداية اهتمامك بهذا الموضوع وما أسباب اختيارك له؟

لن أنكر دور الصدفة في اختياري لهذا الموضوع، الذي تبلور بعد حصولي على الإجازة في القانون، ثم التحاقي بجامعة **جنيف** واختياري للبحث في المعاملة الإنسانية لأسرى الحرب العراقية–الإيرانية، في ضوء أحكام الفكر الإسلامي والقانون الدولي الإنساني، وخاصة في ضوء الخطاب السياسي الإيراني ذي المرجعية الدينية، والخطاب السياسي العراقي الذي لم يخلُ من الأمر عينه رغم تواجد حزب علماني على قمة السلطة وقتئذ. وهو ما دعا اللجنة الدولية إلى التفكير في نوعية الخطاب الذي ينبغي توجيهه إلى المتحاربين، وتعزيز القانون الدولي المتفق عليه بالقيم الإنسانية الإسلامية. وقد تقرر إنشاء وحدة «القضايا العالمية» في العام 2003، في أثناء فترة عملي بمكتب **القاهرة**، بعدما طالبت في أثناء تواجدي في باكستان في 2002 –2003 بضرورة تعزيز اللجنة الدولية لمواردها البشرية في الدائرة القانونية بخبيرين آخرين في الفقه الإسلامي، وخاصة مع ضرورة التنوع اللغوي بالاعتماد على خبراء يتقنون العربية، والإنجليزية، والفرنسية للتعامل على حد سواء مع دول جنوب شرق آسيا، أو مع دول غرب أفريقيا. وتحمست اللجنة الدولية للفكرة وتوسعت بدعم إدارة العمليات بفريق استشاري للعمل على أساس مرجعية علمية ذات إلمام بالقانون، والفقه الإسلامي، والثقافة الإسلامية، وبالقانون الدولي الإنساني في الوقت نفسه.

■ ولكن لماذا الاهتمام بالعالم الإسلامي والفقه الإسلامي دون غيره من الاتجاهات الدينية؟

يعود اهتمام اللجنة الدولية بالعالم الإسلامي إلى بدايات عملها في القرن التاسع عشر، وحرب الامبراطورية العثمانية مع روسيا القيصرية، وما تلاها من اندلاع للحربين العالميتين الأولى والثانية، والنزاعات الاستعمارية التي دارت حول العالم الإسلامي المبتلى بالحروب حتى

R. Al-Rifai/ ICRC

ICRC

استخدام شارة الصليب الأحمر تحدٍّ مستمر أمام اللجنة الدولية في بعض المناطق

طورت اللجنة الدولية خطابها تجاه العالم الإسلامي منذ العام 2003 لضمان مزيد من القبول والقدرة على العمل

هذه اللحظة. وتحتفظ اللجنة الدولية في أرشيفها بالعديد من الدراسات والمذكرات حول القيم الإنسانية الإسلامية، دون أن يتعارض ذلك مع حيادية اللجنة الدولية.

وقد تجلى الاهتمام المعمق بالفقه الإسلامي والمبادئ الإسلامية، نتيجة لدراسة متأنية للواقع الميداني، وإدراك أهمية تطوير الخطاب تجاه العالم الإسلامي بمختلف أطيافه لضمان قبول وحماية موظف اللجنة الدولية، كما المدنيين في النزاعات. وقد تزايد الاهتمام مع عقد التسعينيات الذي هبت رياح تغييره على الجميع منذ سقوط جدار **برلين** وتفتت المعسكر الشرقي، وتابعت الاتصالات والحوار مع الأوساط الإسلامية بمشاركة مندوبي اللجنة الدولية من موريتانيا إلى الفلبين، وأفغانستان، وباكستان، وخرج ذلك على شكل منشورات ومطبوعات منذ تشرين الأول/أكتوبر 2003، والتي سيتم نشرها قريبًا على موقع اللجنة الدولية الإلكتروني في زاوية خاصة عن الاتصالات، والحوار مع العالم الإسلامي.

وجاء هذا الحوار من جانب اللجنة الدولية من منطلق التعاون المنظم والمنتظم مع الأوساط الإسلامية حول القانون الدولي الإنساني ومبادئ العمل الإنساني والواقع الدولي المعاصر وعلاقتهم بالقيم الإسلامية، والذي تشارك فيه بفاعلية **دائرة الشؤون الإنسانية (الإيشاد)** في **منظمة التعاون الإسلامي**، فضلًا عن «**الملتقى الإسلامي**» في **لندن**، و**المنظمة العالمية الإسلامية للإغاثة** في المملكة العربية السعودية وغيرها من المنظمات الإسلامية. وهذا التعاون لم يكن متاحًا من قبل، لكنه يحظى اليوم بقبول وإقبال من المنظمات الإسلامية والإنسانية الأخرى، فضلًا عن دعم اللجنة الدولية لإشراك الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر في البلاد الإسلامية في لقاءات الحوار المختلفة. وتحرص اللجنة الدولية على توطيد علاقاتها مع وزارات الأوقاف، وكليات الشريعة الرسمية، والمجالس الإسلامية، والمنظمات العلمية.

وقد نجح الحوار في التوجه إلى الجميع بدون استثناء، وقد ساهم في ذلك التنوع الذي شهدته اللجنة الدولية بفتح الباب لنحو 100 جنسية للعمل في نحو 80 دولة، بعد أن كانت مقصورة لعهد قريب على من يحملون الجنسية السويسرية فقط. وقاد الحوار مع العلماء الأفاضل وقيادات قبلية إلى تيسير مهام اللجنة الدولية نسبيًا في بعض المناطق التي كان موظفوها قد تعرضوا فيها للاختطاف أوالاحتجاز من قبل بعض الفصائل المسلحة، فضلًا عن التوعية بأهمية عملها الإغاثي، الذي يصعب تقديمه إلا مع توفر ظروف أمان مناسبة لموظفيها، ومنشآتها، وممتلكاتها.

■ بعد سنوات عملك مع اللجنة الدولية، كيف ترى معضلة الاسم واستخدام شارة الصليب الأحمر، وتحفظ بعض المجتمعات تجاههما حتى يومنا هذا؟

ما زالت تلك الصعوبة قائمة، وتفرض ظلالها على كل ما تقوم به اللجنة الدولية، والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. وقد واجهتني تلك المشكلة مرارًا منذ التحاقي بالعمل مع اللجنة الدولية، وفي أثناء زيارتي للأسرى العراقيين بسبب حرب الخليج، ثم الأسرى في **غوانتنامو**، وزيارات السجون في عدد من الدول العربية والإسلامية. واستمر التحدي نفسه مع آخر زيارة رسمية قمت بها إلى اليمن في أيار/مايو من العام الماضي، وهو ما يدفعني للاعتراف بأن موضوع الشارة، وتسمية المنظمة تبقى من أبرز التحديات عند بعض الأوساط التي تضفي صبغة دينية على الهلال والصليب معًا، ومثار جدل وسوء فهم يتطلبان مزيدًا من العناية، والتوضيح.

■ ما هو واقع الوعي اليوم بمبادئ القانون الدولي الإنساني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي؟

كان اجتياح العراق في العام 2003 علامة فارقة في المنطقة العربية، وما نراه اليوم من احتقان في العراق وسورية ومناطق أخرى من العالم الإسلامي يؤثر إجمالًا على مسيرة العمل الإنساني، ومع ذلك هناك تقدم في الحوار مع الدول ومختلف الجماعات المسلحة، من حيث إدراك مغزى العمل الإنساني، وعلاقته بالمفاهيم والقيم التي تشكل جزءًا من حضارتنا وقيمنا الإنسانية. لكن ذلك يستلزم التعاون الكامل بين الجميع من المؤسسات المعنية والفرقاء لحل المشاكل الإنسانية، التي لا يمكن لجهة واحدة مواجهتها منفردة. وبناءً على ذلك، يجب على الجميع الاستناد إلى الثقافة السائدة، واحترام القانون الدولي المتفق ●●●

مساحة المشتركات بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني كبيرة

جوهر القانون الدولي هو حماية الإنسان، وهناك قضايا استجدت ينبغي أن نغلقها

عليه، والذي جاء نتيجة لنضال أجيال سابقة.

مع ذلك، وفي بعض الأحيان، تواجهنا معضلة رفض بعض الأطراف الاعتراف بقانون وضعي من صنع البشر، وطنيًا كان أم دوليًا، وقد يكون من بينهم المحروم من حريته بسبب العنف الدائر. وتأخذ اللجنة الدولية على عاتقها عدم الزج بنفسها في جدال في هذه الحالات. فنحن لا نسعى لتغيير أي فكر، وإنما يقوم عملنا مبدئيًا على المساعدة والحماية الإنسانية على أساس مرجعية قانونية دولية، وفهم المرجعية الفكرية للأطراف المتورطة في نزاعات اليوم حتى ممن يشككون بالقانون الدولي الإنساني. في الوقت نفسه، تحترم اللجنة الدولية سلطة الدول، وتتعاون مع الجميع لتتمكن من أداء عملها وتقديم خدماتها.

■ **مع كل التغييرات التي طرأت على العالم منذ وضع اتفاقيات جنيف، هل تعتقد أنه حان الوقت لإدخال تعديلات على الاتفاقيات نفسها؟**

لا جدال في أهمية الأسس التي قام عليها القانون الدولي الإنساني، ومثال على ذلك، القواعد الراسخة حول التفرقة بين المقاتلين وغير المقاتلين، وهي جزء مشترك وأصيل مع أصول الفقه الإسلامي على سبيل المثال، فضلًا عن التفرقة بين الأهداف العسكرية، والممتلكات المدنية التي لا يجوز العدوان عليها شرعًا ولا عقلًا. وتظل المنظومة القانونية لاتفاقيات **جنيف** جيدة إلى حد كبير، لأن جوهر القانون الدولي الإنساني هو حماية الإنسان إجمالًا، وإن كان ذلك لا يتعارض مع التعديل والإضافة، كما حدث مع القانون الدولي الإنساني منذ وضع اتفاقية سنة 1864. لكن هناك موضوعات مستجدة تتعلق بالقتال وأساليبه، مثل: استخدام السلاح الكيماوي، الذي جاء بعد إشكاليات استخدام السلاح التقليدي في الحربين الأولى والثانية، ثم استخدام الأسلحة النووية التي لا تزال قائمة حتى اليوم، ولم يعالجها القانون الدولي بشكل كامل في معاهداته، وصولًا إلى عصر المقاتل الآلي والحروب الإلكترونية، وما زالت التحديات مستمرة.

AFP

R. Al-Rifai/ ICRC

■ **ماذا عن ذكرياتك مع اللجنة الدولية وكيف ترى تلك السنوات في ضوء تجاربك المختلفة؟**

ذكرياتي مع العمل الإنساني تجمع ما بين الألم والأمل، ولذا فأنا متشائل (كما يقول الأديب الفلسطيني **إميل حبيبي**) لكن لا أيأس من رحمة اللّه في القادم من الأيام. وقد كانت أسعد اللحظات التي عشتها في أثناء سنوات عملي لحظات إعادة الأسرى بعد 20 عامًا من الغياب في العراق وإيران، وكذلك رجوع المعتقلين إلى أسرهم وبيوتهم، ولم شمل كثير من الأسر في حزيران/ يونيو 1996 في لبنان، أو إتاحة دقائق لاتصالات لم الشمل في أماكن كثيرة من المنطقة.

أما أصعب الأحداث فهي التي ارتبطت بموت أحد زملائنا ومنهم الراحل **حسين صالح** في حزيران/يونيو 2012 في اليمن، وآخرون في الشيشان في كانون الأول/ ديسمبر 1996، وغيرهم من ضحايا الواجب، الذين دفعوا ثمن اختيار العمل في خضم النزاع. وما يحز في نفسي أيضًا هو ما نراه الآن من قتل وتشتيت في فلسطين، وسورية، والعراق، وأفغانستان، على سبيل المثال، وهي أبشع بكثير مما عرفته البشرية في فترات تاريخية سابقة.

■ **هل من نصيحة تشعر بالحاجة لتوجيهها بعد كل هذه السنوات لزملائك في اللجنة الدولية ولجميع العاملين في الحقل الإنساني بشكل عام؟**

أقول لهم إن العمل الإنساني هو من أنبل ما يمكن أن يقوم به الإنسان باختياره، كما أن الحياد، وإن كان صعبًا إلا أنه من أهم الأسس التي يجب أن نعيش بها، إلى جانب التواضع لمساعدة ضعفاء ينتظروننا للخروج من النفق. إن اللجنة الدولية وهي من أقدم المؤسسات الدولية التي لم تكن قط حكومية، وبدأت بخمسة أفراد من مدينة صغيرة، نجحت بجهد أفرادها جيلًا بعد جيل في الوصول إلى العالم أجمع، وهو ما يجب المحافظة عليه وتطويره بالحياد، وبالعلم، والعمل لنظل دائمًا معًا من أجل الإنسان، ومن أجل عالم أكثر رحمة ■

الملف

عندما لا تعكس المرآة صورتك الحقيقية

على امتداد خريطة تواجد اللجنة الدولية للصليب الأحمر يواجه يوميًّا موظفوها، وعددهم نحو 12 ألف موظف في 80 بلدًا، سيلًا من الاتهامات والشكوك التي تحيط بعملهم وأهدافه، وشارتهم وأصلها، وتمويلهم وولائه لا سيما في منطقة الشرق الأوسط. وأتاحت مواقع التواصل الاجتماعي تداولًا وانتشارًا أوسع لأفكار خاطئة أو مغلوطة حول اللجنة الدولية وشارتها المستخدمة (صليب أحمر هو مقلوب العلم السويسري)، وهو ما يرصده هذا الملف إيمانًا منا بأن العمل الإنساني أساسه بناء الثقة من خلال مواجهة المخاوف وما يقال في السر أو العلن وتصويبها.

أندرياس فيغر*

تحديات في مواجهة اللجنة الدولية في أجزاء من العالم الإسلامي

AFP

يعد الظهور المتنامي والمكثف للدين في السياسة وللسياسة في الدين جزءًا من المناخ الذي تُجري فيه اللجنة الدولية للصليب الأحمر عملياتها في البلدان الإسلامية، وأحد ملامح التفاعل مع الإسلاميين. وبالرغم من مرور أكثر من سبع سنوات على نشر هذا المقال للمرة الأولى في المجلة الدولية للصليب الأحمر، فإن غالبية الأفكار التي طرحها لا تزال صالحة لعالم اليوم.

* Andreas Wigger، شغل منصب نائب مدير العمليات، ويعمل حاليًا رئيسًا لقسم الحماية والبحث المركزي في مقر اللجنة الدولية في جنيف.
المقال الوارد مقتطفات بتصرف من تقرير مطول مكتوب بصفة شخصية، ومنشور في دورية مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر باللغة الإنجليزية، حزيران/يونيو 2005، العدد 858، الذي صدر تحت عنوان: الدين. ولا يعكس المقال بالضرورة وجهات نظر اللجنة الدولية للصليب الأحمر

لا شك أن أي شخص مسلم أو منظمة مسلمة يعملان في الغرب، وأي شخص غربي أو منظمة غربية يعملان في العالم الإسلامي يواجهون خرافات عتيقة؛ إذ يجري إحياء وتحديث الصدمات الراسخة العميقة التي نشأت عن العلاقة التاريخية مع «الآخر»، سواء أكان هؤلاء الـ«آخرون» هم الصليبيون أو الاستعماريون بمزاعمهم عن أشكال الحياة الحديثة المغايرة، أم الجيوش المسلمة التي اصطفت على بوابات **فيينا** و**بواتيه**، أم الـ«جهاديون» العالميون الذين يقال إنهم «عازمون على تدمير الحضارة الغربية». ويجري الحض على الكراهية، وبث الخوف، ويضفي الجهل هالة من الواقعية على الخرافات. وعلى سبيل المثال، زادت المواجهات في السنوات الأخيرة بين **القاعدة** والمجتمعات والحكومات الغربية وغيرها، من تعقيدات العلاقة التي تعود لقرون مضت بين الغرب والشرق الإسلامي وتصورهما لبعضهما البعض.

أزمات قديمة تتجدد

إن ما تطمح إليه اللجنة الدولية، بما لها من تفويض دولي، هو تقديم الحماية والمساعدة إلى ضحايا النزاعات المسلحة والعنف الجماعي في أنحاء العالم أينما دعت الضرورة وأمكن تقديمهما. ويُلاحَظ أن أكثر من نصف العمليات الجارية للجنة الدولية موجهة إلى مساعدة ضحايا مسلمين، سواء سجناء أو أُسَر الأشخاص المفقودين، أو جرحى أو مدنيون بحاجة إلى سقف يظلّهم أو مياه نقية أو طعام. وبإلقاء نظرة سريعة على أنشطة اللجنة الدولية فيما يربو على 50 دولة عضوًا في **منظمة المؤتمر الإسلامي**، يتضح وجودها القوي في العالم الإسلامي.

والمشكلة بشكلٍ عام هي إقناع الغالبية من السكان بأن اللجنة الدولية تعمل بنحو مستقل ومحايد وأنها تقوم بذلك بأكثر الأشكال الممكنة فاعلية. وهذا ليس بالأمر الجديد، وهي مشكلة لا تقتصر على العالم الإسلامي. بيد أنه في الحروب السابقة في الشرق الأوسط، والمناطق الإسلامية الأخرى كانت الأطراف المشاركة مباشرةً في النزاعات من تلك المناطق نفسها، بينما كانت اللجنة الدولية، التي تتخذ من **جنيف** مقرًا لها، طرفًا أجنبيًا

لكلا الطرفين بالدرجة نفسها، وكان يُنظر إليها كوسيط محايد ذي قيمة كبرى. وفي الوقت ذاته، الذي يُجري فيه الجنود العمليات العسكرية، يقومون بحماية العاملين في المجال الإنساني وحماية مشاريع التنمية المدنية واسعة النطاق. وتجعل أوضاع كهذه النهوض بعمليات إنسانية مستقلة أمرًا صعبًا، إذ تميل حركات المقاومة، وبعض السكان إلى الربط بين المنظمات الغربية -أو تلك التي يظنونها كذلك- والقوات العسكرية التي يحاربونها. إن الحروب الأخيرة في أفغانستان والعراق، والنزاع بين إسرائيل والفلسطينيين الذي ما زال عصيًّا على الحل، والنزاعات في أماكن أخرى متفرقة.

التخوف التاريخي

يشعر الناس في أجزاء من العالم الإسلامي بالتهديد من غزو القيم السياسية والاجتماعية والثقافية الغربية، ويراها كثير من المسلمين «حربًا ضد الإسلام». وتتشبث الجماعات الإسلامية بهذا الشعور وتنتقد انحلال الغرب «الكافر العلماني». ويتزايد توجيه أسئلة إلى مندوبي اللجنة الدولية بشأن قيمهم الخاصة، كما أصبحت موضوعات مثل الحداثة والعلمانية موضوعات لا يمكن تجنبها في المناقشات التي يجادل فيها الأفراد والجماعات والأحزاب من موقف إسلامي. وتتباين الموضوعات بتباين المناطق الجغرافية والتوجهات الأيديولوجية للمعنيين، ففي المناطق التي يعمل فيها عديد من المنظمات التبشيرية المسيحية كآسيا الوسطى، يكون على اللجنة الدولية إثبات أنها لا تعمل على استمالة أحد إلى أي معتقد. وفي الواقع فإن الحياد الديني للجنة الدولية يمثل أهمية خاصة في بعض الأجزاء في أفريقيا وآسيا حيث يسود التوتر -أو حتى النزاع- بين المجتمعات المسيحية والمجتمعات المسلمة. وفي العراق وأفغانستان حيث تشير جماعات معينة من «الجهاديين» إلى الجيوش الأجنبية بالصليبيين الجدد، ينبغي على اللجنة الدولية التوضيح قولًا وفعلًا أنها محايدة ومستقلة وعالمية حقًّا. وفي كل هذه الحالات، ربما تثير شارة الصليب الأحمر المناقشة.

وتميل الجماعات الإسلامية المتشددة في بعض المناطق، إلى تفسير شارة الصليب الأحمر على أنها رمز مسيحي، واعتبار اللجنة الدولية بالتالي منظمة تبشيرية. وفي مناطق أخرى، ربما ترى هذه الجماعات اللجنة الدولية جزءًا من النظام الغربي العلماني الخيري. وفي كلتا الحالتين، تحتاج اللجنة الدولية لتبديد المخاوف من خلال العلاقات. من جهة أخرى، تعمل المنظمات الخيرية الإسلامية كجماعات قائمة بذاتها، بالرغم من أنها تتكون جزئيًا من نشطاء إسلاميين، إلا أنها تضم أيضًا منظمات كبرى تعمل في ظل مبادئ مثل الحياد وعدم التحيز. وبخلاف المنظمات غير الدينية، تقيم بعض المنظمات المسيحية والإسلامية الخيرية صلة صريحة بالدين من حيث إنها تضطلع بأنشطة خيرية من أجل نشر أهدافها الدَعَويّة. ويتسبب ذلك في مشكلات للمنظمات الإنسانية، وخاصة غير الدينية منها. فعندما يتضافر العمل الإنساني مع نشر أو إحياء الإسلام أو المسيحية، توضع المنظمات الإنسانية في وضع تنافسي معها. فالتصور الموجود في العالم الإسلامي هو أن المنظمات غير الحكومية المسيحية، وأيضًا العلمانية والمنظمات الدولية تعمل على نحو مباشر أو غير مباشر على توسع الغرب ونشر قيمه، وتشكل شخصيتها سواء المسيحية، أو العلمانية تهديدًا للإسلام. وعلى الجانب الآخر، يُنظر إلى المنظمات غير الحكومية الإسلامية على أنها تركز أكثر مما ينبغي على الدعوة، أو على كسب مؤمنين جدد للإسلام، كما يُنظر إليها -في سياق «الحرب ضد الإرهاب»- كمنظمات مقاتلة مقنَّعة. بيد أن **جيروم بيليون-جوردان** يلاحظ أن المنظمات غير الحكومية الإسلامية نأت عن السياسة في السنوات الأخيرة.

تحتاج أي منظمة إنسانية إلى شرح آليات عملها بشكل شفاف للحصول على القبول

ICRC

في العالم العربي، مثلما هو الحال في كل مكان آخر، سيكون على اللجنة الدولية إظهار حيادها واستقلالها في معظم الأحوال

تحديات راهنة

تواجه اللجنة الدولية للصليب الأحمر على وجه الخصوص تحديات في الحوار الذي تجريه مع المنظمات الخيرية الإسلامية. وبوصفها الهيئة المؤسِّسة للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر فاللجنة الدولية لها شريك طبيعي في جمعيات الهلال الأحمر التي لها جذور عميقة في بيئاتها المختلفة. ويمكنها أن تعمل معها لإبلاغ رسائل، بما فيها رسالة أن الحركة الدولية حركة محايدة في القضايا المتعلقة بالمعتقدات والسياسة، وهي بالتالي لا تسعى إلى نشر العلمانية أو المسيحية أو الإسلام. ويحتاج المندوبون لبذل جهد لإشراك المنظمات الإسلامية في أنشطتها التي تحتاج إلى التنسيق والتعاون. ولعله من الممكن، على المستوى التنظيمي، عقد منتديات تناقش فيها مفاهيم العمل الإنساني، ويتم فيها تسهيل النقد المتبادل، والتعامل معه من خلال النقاش. كما يمكن لهذه المناقشات •••

وضع الأساس لأنشطة مشتركة مع منظمات معينة في كلٍ من العالم الإسلامي والغرب. وربما تساعد هذه الأعمال الرمزية في اندماج كل نمط من المنظمات أكثر في السياق الثقافي للآخر.

إن التنوع الكبير في النشاط الإسلامي من حيث التركيز على الأيديولوجية والتكيف محليًا يتطلب قراءة دقيقة لمختلف الحقائق، وهو ما تعلن اللجنة الدولية عن استعدادها للتعامل معه: فلديها مندوبون أجانب ذوو خبرة جيدة، وموظفون وطنيون متحمسون، وشركاء محليون راسخون في شكل جمعيات **الهلال الأحمر**. إلا أن التحديات التي تواجهها تظل متشعبة، وعلى رأسها الحاجة إلى الحث على تحليل للبيئة يقوم على الأدلة، وتحسين المناقشات مع الأطراف المعنية ذات الأهمية بشأن الالتزام بالقانون الدولي الإنساني، ويتطلب كلاهما منهجية سليمة، وربما يضر الفشل في مواجهة هذه التحديات بنجاح عمل المنظمة الإنسانية. وبصفة عامة، تحتاج أي منظمة إنسانية للمعرفة الدقيقة للأمور التي تشكل أهمية لقطاعات السكان المختلفة، وكذلك معرفة من منهم يجد معنى في شعارات الراديكالية المعادية للغرب، ومن يتشكل رأيهم بها. وللحصول على هذه المعلومات لا بد من تحليل موجز لجميع البلدان المعرضة لـ«الحرب ضد الإرهاب»، ومحاولة مراعاة عدد من النقاط، ومنها:

الحساسية الثقافية لممثلي اللجنة الدولية

إجمالًا، يتطلب العمل في العالم الإسلامي من مندوب اللجنة الدولية إظهار درجة كافية من الحساسية للثقافة الإسلامية، وهو ما سعت إليه اللجنة الدولية.

في أواخر الثمانينيات، فوضت اللجنة الدولية السيد **مارسيل أ. بوازار** لكتابة دليل لموظفي اللجنة الدولية في البلدان الإسلامية، وذلك بناءً على آراء واقتراحات قدمها عدد من المندوبين الذين عملوا في هذه البلدان. ويقتصر الدليل على إعطاء بيانات ومعلومات تاريخية أساسية عن الإسلام، إلى جانب النصح العملي عن كيفية السلوك في العالم الإسلامي. ورغم أهمية قراءته، إلا أنه لا يجب اعتبار أنه وحده كافٍ. وكما أشار **بوازار**، ورأينا مما سبق، فإن العالم الإسلامي غير متجانس ثقافيًا، كما تتأثر بعض المواقف إزاء اللجنة الدولية بطبيعة النزاع المعني، كما تتوقف ردود فعل شخصٍ ما إزاء أحد مندوبي اللجنة على الخلفية الاجتماعية والثقافية لهذا الشخص.

ما زلنا نعاني من الصدمات الراسخة العميقة التي نشأت عن العلاقة التاريخية مع «الآخر»، وغيرها من تعقيدات العلاقة التي تعود لقرون عدة بين الغرب والشرق الإسلامي

يساعد مندوبو اللجنة الدولية من البلاد الإسلامية على تشجيع التفاعل بين الثقافات داخل المنظمة

التركيز على التفويض الممنوح للجنة الدولية والعمليات الإنسانية

يضرب الجدل حول الحداثة واستمرار الإمبريالية الغربية في الوقت الراهن على وتر قوي، لا سيما في الشرق الأوسط. وتكثر المناقشات الداخلية حول المحاولات الغربية «لجلب الديمقراطية إلى المنطقة»، و«تحديث» المؤسسات التعليمية ومناهجها، ... إلخ. ويقدم هذا لقراء أحد أوائل منظري السلفية الجهادية **سيد قطب** (1906 – 1966)، وغيره من معارضي «الغزو» الثقافي الغربي الفرصة لمناقشة الموضوع علانيةً بشكل مكثف. ويؤثر

عازفان مسيحي وعربي يلعبان العود في الأندلس، من كتاب الموسيقى لألفونس العاشر الحكيم

ذلك في التصورات الواعية وغير الواعية للمنطقة لما يُنظر إليه كمنظمة غربية. وتحتاج اللجنة الدولية للنأي بنفسها عن القضايا الاجتماعية، والسياسية الخلافية، ويساعد التركيز على التفويض الممنوح لها بموجب القانون الدولي الإنساني المندوبين على تجنب رؤيتهم كأجانب مثيرين للقلاقل.

احترام المبادئ

في العالم العربي، مثلما هو الحال في كل مكان آخر، سيكون على اللجنة الدولية إظهار حيادها واستقلالها. ويبرز المرة تلو الأخرى مفهومان خاطئان في ما يتعلق بالحياد:

أولهما، في حالات الاحتلال يخيم على اللجنة الدولية الشك في أنها تتخفى وراء حيادها، حيث يُفترض عدم وجود موقف أخلاقي لديها من انتهاكات القانون الدولي الإنساني على يد قوات الاحتلال. و**ثانيهما**، لا يستطيع الناس فهم كيف للمرء أن يظل محايدًا في حرب عادلة ضد هجوم على الأمة. وهنا، تعلو الأفعال فوق الأقوال، وسوف تُفسد العمليات الفعالة تدابير الناقدين.

فهم القانون الدولي الإنساني

تقع كثير من انتهاكات القانون الدولي الإنساني في النزاعات التي تدور رحاها في البلدان الإسلامية أيضًا. وتُستهجَن بشكل خاص الهجمات التي تُشن على المدنيين سواء على يد القوات المسلحة، أو الانتحاريين. إلا أن بحثًا ميدانيًا أجراه مركز **الدراسات الاستراتيجية** في **عمَّان** خرج بنتيجة مؤداها أن الجزء الأعظم من السكان يرى الهجمات الانتحارية على المدنيين شكلًا مشروعًا من المقاومة (الاستشهاد) في أثناء مكافحة الاحتلال. فكيف لنا التعامل مع هذه المشكلة بأسلوب يرجح له النجاح؟

يمكن للجنة الدولية التعامل مع هذه المشكلة على مستويات مختلفة. فالحوار مع قادة الرأي المسلمين، مثلما جرى في مؤتمر **إسلام أباد** في تشرين الأول / أكتوبر 2004، ربما يساعد على خلق مستوى أساسي من التوافق بين معايير القانون الدولي الإنساني ومعايير القانون الإسلامي الدولي. ويجب، في الاتصالات المباشرة مع الجماعات المنفذة لمثل تلك الهجمات، تحلي المندوبين بالحكمة، وتشديدهم على القانون الدولي الإنساني بدلًا من الدفع بمجادلات سياسية وأخلاقية. ومن المفيد لهم الدراية بأن وجهة نظر الإسلام القويم تدعم هذا الموقف القانوني. كما يمكنهم أيضًا تشجيع المثقفين، أو السياسيين البارزين على مناقشة هذه القضية علانيةً، وبالتالي يؤثرون على المواقف. ويقال إن هذه العمليات معقدة جدًا، وإن اللجنة الدولية بحاجة إلى التفكير مليًا في الدرجة التي تبغي بها الانخراط في الجدل الإسلامي الداخلي.

وعلى اللجنة الدولية ألا تتردد في الظهور في السياقات غير المألوفة وفي وسائل الإعلام حينما يتعلق الأمر بالعلاقة مع الجمهور العام. وسوف يكون على مندوبيها معالجة التساؤلات القائمة حول النزاعات غير المتماثلة. وبلا شك أنه يمكن نشر مواقف مشتركة تستند إلى كل من التقاليد الإسلامية، والقانون الدولي الإنساني. كما ينبغي التفاعل عن كثب مع المجتمع المدني بقدر المستطاع. وفي كتابها الذي يحمل عنوان "the Growing Tree Shelteing" تعرض **اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات** 24 مثالًا مختلفًا، بعضها شديد الإبداع، حول كيفية نشر المعرفة بالقانون الدولي الإنساني، وقانون حقوق الإنسان، وقانون اللاجئين.

التعاون مع جمعيات الهلال الأحمر

يلقى العمل الإنساني تقديرًا كبيرًا من الناحية الدينية كعمل من أعمال الخير، لا سيما من جانب الإسلاميين. كما ترى المنظمات غير الحكومية الإسلامية اللجنة الدولية، وبدرجةٍ ما جمعيات الهلال الأحمر، منافسة لها، ويحتاج هذا الوضع إلى توضيح. والشفافية مطلوبة من كلا الجانبين، فهي تمهد الطريق للمناقشات الواضحة حول العمليات الجارية، والتنسيق الممكن تحقيقه. والعلاقة الجيدة القائمة على التعاون الناجح مع جمعية **الهلال الأحمر** في الدولة المعنية تضع أسسًا لعلاقات جيدة مع المنظمات غير الحكومية الإسلامية.

كما يحتاج استخدام شارة الصليب الأحمر دائمًا إلى توضيح، ويجب على مندوبي اللجنة الدولية الإلمام على الأقل بدلالتها لدى مختلف الجماعات، التي تتحدث عن وجود مواجهة عالمية بين الإسلام والغرب، وترى أي شكل من أشكال الصليب باعتباره رمزًا لعملاء استعماريين مسيحيين.

الاندماج في المجتمع المدني

يمثل الشباب في أغلب البلدان الإسلامية ما يزيد على نصف السكان، ونسبة كبيرة منهم محبطون بدرجة كبيرة، وبشكل مكثف أيضًا في شبه القارة الهندية وآسيا الوسطى وبعض الدول الإفريقية، بسبب السياسة الغربية في ما يتعلق بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني والتدخل في العراق. وهم، فضلًا عن ذلك، قلقون بشأن مستقبلهم في ظل الوضع الاقتصادي والاجتماعي المحفوف بالمخاطر. وهم يؤيدون، على الأقل قلبيًا وبشكل غير نشيط، الجماعات التي تتحدث علانيةً عن الأخطاء، وتقاوم محتلي البلاد والشعوب العربية. واللافت للنظر، أن نسبة لا يستهان بها من الشباب في المشرق لا يشارك بالضرورة هذه الجماعات أيديولوجيتها، ولكنه يرى أن بعض استراتيجياتها ومناهجها مشروعة. وكما أشرنا آنفًا، فإن مسألة العلاقات بين **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** والشباب تجسد مسألة التكامل في المجتمع المدني برمتها. وتُعدّ مؤسسات كالجامعات أحد المنابر التي يمكنها مناقشة القضايا المعاصرة: وتُعدّ وسائل الإعلام منبرًا آخر، فضلًا عن الدور الذي يمكن أن تلعبه شبكة الإنترنت، التي تحظى باهتمام تلك الجماعات.

متمسكون بمهمتنا

وهكذا، يتعرض جميع السكان في كل من الغرب والشرق بشدة لصور مفرطة في التبسيط والخطورة عن «الآخر»، وتجادل أقلية صاخبة بوجود مواجهة عالمية بين الحضارات، مستخدمةً رموزًا عن الآخر مقدرًا لها العمل على استثارة المزيد من الخوف والكراهية. ويُنظَر بشك إلى ما يطلق عليه اسم «**الإمبريالية الغربية**» في مظاهرها السياسية والعسكرية، وتضيف الجماعات الإسلامية مفهوم الهيمنة الثقافية، وترى العلمنة كأكبر خطر يحدق بالعالم الإسلامي.

إن التوترات العديدة في العالم الإسلامي تملي على المنظمات الدولية إقامة علاقات مع جميع قطاعات المجتمع. ومن المهم معرفة كيف تفكر «الأغلبية الصامتة» بشأن هذه المسائل الجوهرية مثل قبول العمل الإنساني الذي يجري في إطار القانون الدولي الإنساني ويقوم على مبادئ الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. وتعد استطلاعات الرأي حول هذه المسائل وسيلة من وسائل الحصول على صورة تمثل الواقع حقًا. وللجنة الدولية شركاء يُعدّون جزءًا من المجتمع في البلدان الإسلامية، وهي جمعيات **الهلال الأحمر** الوطنية التي يمكنها مساعدة اللجنة الدولية في شرح الموقف بدقة وتبديد المخاوف وخاصة لمواجهة شك عديد من الأفراد والجماعات بالعالم الإسلامي في أن لدى المنظمات الدولية أجندة خفية، أو أن هذه المنظمات تبشر بمذاهب دينية، أو سياسية، أو أنها عميلة للحكومات الغربية، أو تشجع العلمانية، وحقوق الإنسان الانتقائية.

إن التمسك الصارم بمهمة اللجنة الدولية الإنسانية، والانفتاح في ما يتعلق بعملياتها، والأهم من كل هذا النهوض بعمليات إنسانية فعالة، سيضع أساسًا قويًا لإقناع المشككين ■

الشارات الثلاث :

REUTERS

قبل القرن التاسع عشر، اختلفت الرموز المميزة للخدمات الطبية التابعة للقوات المسلحة من بلد إلى آخر، ونادرًا ما كانت تلقى الاحترام اللازم، أو تحظى بأي شكل من أشكال الحماية القانونية، ولذا كانت الحاجة ماسة للتوصل إلى شارة موحدة، ومقبولة لحماية الضحايا من طرفي النزاع؛ لتكون هناك حدود لوحشية الحرب.

آمال عويضة*

إساءة استخدام الشارة، والتأويل الديني لها تحديان كبيران في مواجهة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر

مصدر قوة ونقطة ضعف

لأهمية الشارة وما يحيط بها من قضايا، خصصت مجلة **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** مقالات عددها رقم 272، الصادر في 31 تشرين أول/ أكتوبر 1989 لتناول عدد من الموضوعات المتعلقة بالشارة، مع التأكيد على أن الشارة ليست هدفًا في حد ذاتها، وإنما تكمن أهميتها في تقديم الحماية لضحايا الحرب، والإسهام في زيادة فعالية ووحدة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وبالرغم من مرور الزمن فإن الكثير مما كُتب في حينه، ما زال ساريًا حتى يومنا هذا.

الحماية للشارات المستخدمة

يذكر **فرنسوا بونيون**، الذي عمل مندوبًا سابقًا في **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** في إسرائيل والأراضي المحتلة (1970–1972)، وفي بنغلاديش (1973–1974)، وفي تركيا وقبرص (1974)، وفي تشاد (1978)، وفي فيتنام عام 1979، وفي كمبوديا عام 1979، أن النصف الأول من القرن التاسع عشر شهد استخدام الجيوش الأوروبية لألوان مختلفة لتمييز خدماتها الطبية. ففي حين كان للنمسا علمها الأبيض، كان لفرنسا علم أحمر اللون، ولإسبانيا اللون الأصفر، كما استخدم البعض الآخر اللون الأسود، وأحيانا كانت الأعلام تختلف بين فيالق وأسلحة الجيش الواحد، فضلًا عن عدم تمييز العربات المستخدمة في نقل الجرحى عن بقية عربات الجيش الأخرى، كما لم تكن هناك وسيلة للتعرف عن بعد على أفراد الخدمات الطبية، ولذا كان الإصرار على التوصل إلى شارة موحدة إنجازًا حقيقيًا من أجل الإنسانية، وهو ما نصت عليه المادة 44 من **اتفاقية جنيف الأولى** لعام 1949 على النحو التالي:

(أ) استخدام الشارة بهدف الحماية عندما تكون هي العلامة المرئية للحماية الممنوحة بموجب الاتفاقيات للأشخاص أو الممتلكات (الخدمات الطبية للقوات المسلحة، الأفراد العاملون في جمعيات الإغاثة المُعترَف بها والعاملة كأجهزة مساعدة للخدمات الطبية للقوات المسلحة، المركبات والمعدات الطبية وعربات الإسعاف ... إلخ)، وعندما تستخدَم الشارة لهذا الغرض يجب أن تكون في أكبر حجم ممكن وألا تحمل بيانات، وذلك حتى يمكن التعرف عليها عن بُعد، وبالتالي ضمان أقصى درجات الحماية الممكنة. ولمنع إساءة الاستخدام، يجب ألا تُستخدَم الشارة للحماية إلا في الحالات التالية:

– يجب أن يكون مستخدمو الشارة مرخصًا لهم بذلك من الدولة

– يجب وضعهم تحت إشراف مباشر من الدولة، التي سوف تُعتبَر مسؤولة عن سوء الاستخدام

– لا يجوز أن تُستخدَم الشارة إلا للأغراض الطبية فقط

(ب) وتُستخدَم الشارة كوسيلة للدلالة عندما توضح أن شخصًا، أو شيئًا ماديًا له صلة بالصليب الأحمر، وإن كان لا يمكن ولا يُعتزَم وضعه تحت حماية الاتفاقية. وفي مثل هذه الحالات لا يجوز استخدام الشارة إلا مع الالتزام بالشروط التالية:

– أن يتمشى هذا الاستخدام مع التشريع الوطني

– أن يشمل فقط أنشطة تتفق ومبادئ الصليب الأحمر

المحميون بالشارات

في مقاله المنشور بالعدد المشار إليه، والمعنون: **جوانب خاصة لاستخدام شارة الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر**، يرى القانوني **أنطوان بوفييه** أن الشارات طبقًا

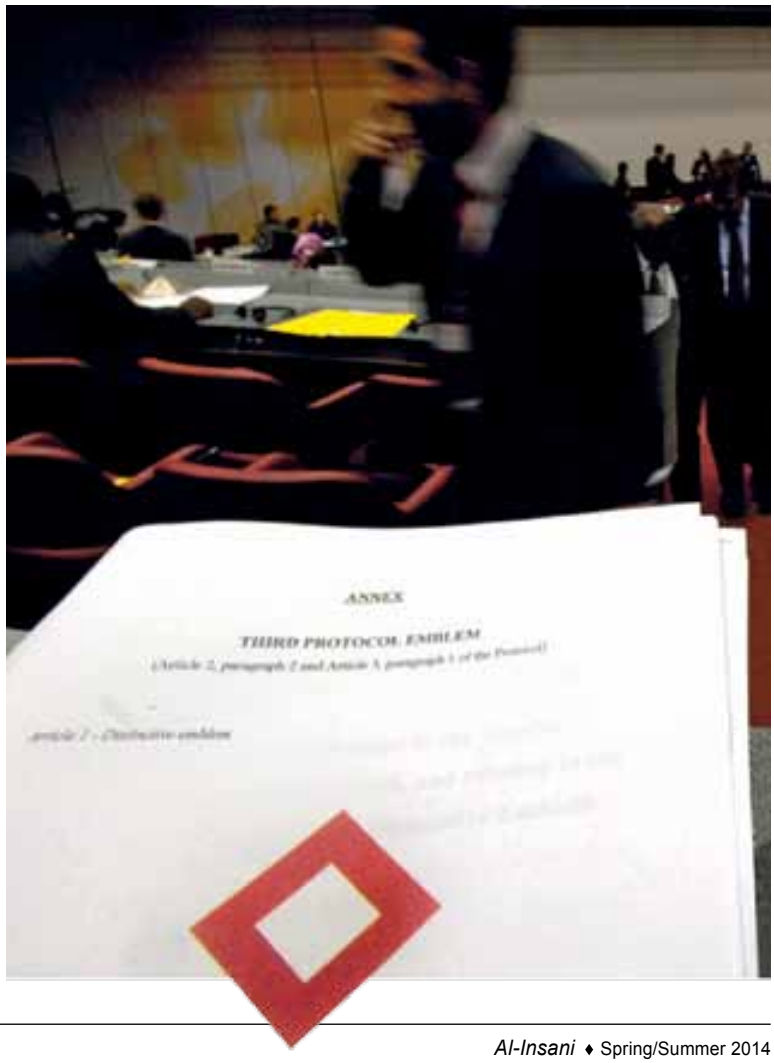

REUTERS

AFP

إن الشارة ليست هدفًا في حد ذاتها، وإنما تكمن أهميتها في تقديم الحماية لضحايا الحرب، والإسهام في زيادة فعالية ووحدة الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر

للبروتوكولات المتفق عليها تحدد من يمكنهم الحصول على الحماية في وقت النزاعات المسلحة للضحايا، ومن يعتني بهم، وهم:

– الموظفون العسكريون المخصصون بشكل تام لأداء مهام طبية

– الموظفون العسكريون المخصصون لأداء مهام طبية بصورة مؤقتة

– الموظفون الطبيون في الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر أو الهلال الأحمر التابعة لأحد أطراف النزاع، والموظفون الطبيون التابعون لجمعيات الإغاثة الطوعية الأخرى التي تعترف بها حكوماتها كأجهزة معاونة للخدمات الطبية في القوات المسلحة، والتي تعمل تحت إشراف السلطات

– الموظفون التابعون للهيئات الدولية للصليب الأحمر

– موظفو الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر في الدول المحايدة، والدول الأخرى التي ليست طرفًا في النزاع، وموظفو جمعيات الإغاثة الطوعية الأخرى المعترف بها لدى هذه الدول كأجهزة معاونة للخدمات الطبية بالقوات المسلحة، والعاملة تحت إشراف سلطات طرف في النزاع

– الموظفون الطبيون التابعون لأجهزة الدفاع المدني

– موظفو المستشفيات المدنية المعترف بهم والمرخص لهم

وتحدد القواعد مجموعة من الشروط المطلوبة لاستخدام الشارة كوسيلة للحماية بواسطة هيئات من خارج الصليب الأحمر، وذلك في وقت النزاع المسلح الدولي باستيفاء الشروط التالية:

– أن تعترف بها دولة المنشأ على أنها أجهزة معاونة للخدمات الطبية في دولتها

– أن يقتصر نشاطها على الأعمال الطبية التي تتفق مع شرف المهنة الطبية

– أن يكون مرخصًا لها بالعمل من جانب سلطات بلد المنشأ، وسلطة طرف في النزاع المعني

– أن تعمل تحت إشراف سلطات هذا الطرف في النزاع.

أما في فترة النزاعات غير الدولية والتي غالبًا ما تثير المشكلات الشائكة بالدرجة الأكبر، فإن المجال مفتوح لعمل المنظمات الإنسانية، في الوقت الذي تعد فيه القواعد القانونية المتعلقة بهذه النزاعات الأقل وضوحًا واكتمالًا من الأحكام المنطبقة على النزاعات المسلحة الدولية.

قضايا شائكة

هناك قضيتان على جانب كبير من الأهمية، تتعلقان بمستقبل شارات الحماية، أولاهما: إساءة استخدام الشارة، والتي أصبحت مصدر قلق دائم للجمعيات الوطنية. إذ إن إساءة استخدام الشارة، غير المتعمد غالبًا، يحدث في جميع أنحاء العالم كنتيجة طبيعية لما تحظى به الشارة من تقدير كبير، إذ لا يرغب أحد في استخدام شارة لا توحي بالاحترام. إلا أن إساءة الاستخدام سواء كان ذلك بغرض الحماية في أوقات النزاع، أو لأهداف تجارية في وقت السلم قد تنجم عنها حالة من الفوضى، وانعدام الثقة. ومن هنا يأتي الاهتمام الذي توليه الحركة لمنع إساءة الاستخدام على هذا النحو، خاصة وأن أول من سيدفعون الثمن في حالة عدم احترام الشارة هم الضحايا الذين تعمل الشارة أساسًا من أجلهم.

أما المشكلة الثانية وهي ضرورة الالتزام بالحياد التام للشارة بالنسبة لقضية الديانة، وعلى كل العاملين في نطاق الحركة مسؤولية خاصة في هذا الشأن، إذ يتعين عليهم بذل قصارى جهدهم لتجنب إثارة الحماس الديني تجاه الشارة، والامتناع عن ممارسة أي ضغوط على الحكومات والجمعيات الوطنية بالنسبة لاختيار الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر. فالخطر هنا يتهدد الدور الرئيسي للحركة في النزاعات المسلحة ومصداقيتها بالنسبة لكل من يعطي للشارة مغزاها الحقيقي بعيدًا عن كل إيحاءات أو دلالات دينية، وبخاصة عندما لا يكون مسلمًا أو مسيحيًا، ولعل في لبنان وأندونيسيا مثالًا واضحًا لتجاوز الإيحاءات المعوِّقة باستخدامهما لشارة الصليب الأحمر دون حساسية تذكر في مجتمعين بهما نسبة لا يستهان بها من المسلمين.

بين القوة والضعف

في مقال آخر بالعدد السابق ذكره، يرى عضو اللجنة الدولية للصليب الأحمر في **جنيف** القانوني **إيف ساندو** في مقالته المعنونة: **شارتا الصليب الأحمر والهلال الأحمر: ما هي المخاطر التي قد تتعرضان لها؟**، أن شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر هما مصدر قوة وضعف الحركة في الوقت نفسه، فهما مصدر قوتها لأنهما الرمزان المرئيان الموثوق فيهما في إغاثة ضحايا الحروب، وطوال العقود الماضية مكنت الشارات الحركة من تقديم الحماية والمساعدة إلى ملايين الجرحى، والأسرى، والعائلات، والأطفال خلال أشرس أنواع النزاعات التي شهدها الجنس البشري في تاريخه. والشارات مصدر قوة الحركة أيضًا؛ لأنهما تعكسان صورة الرحمة والإنسانية في جميع أنحاء العالم. إلا أن استخدام هاتين الشارتين وعدم الاكتفاء بشارة موحدة هو أيضًا مصدر ضعف الحركة؛ لزرعهما بذور الفرقة بين أعضائها، وبالتالي حرمان الحركة من أن تكون عالمية بحق.

وهو ما دفع باحثين ومهتمين ومتابعين للتساؤل بشغف عن السبب وراء تعثر مؤسسي الصليب الأحمر من توقع أن الشارة التي اختاروها رمزًا للحياد في كل المجالات، بما فيها الدينية، يمكن النظر إليها على أنها رمز مسيحي؟. ولماذا إذن تقرر تصحيح الأوضاع عن طريق قبول الهلال الأحمر في العام 1929، ثم من بعده **الأسد والشمس الأحمرين**؟، ليتأكد بذلك أن للشارة إيحاءات، ودلالات دينية ويفتح بالتالي الطريق أمام مزيد من الخلافات. وبعد مرور نصف قرن من الزمان عادت الحركة مرة أخرى للتفكير في المشكلة ذاتها، إلا أنها قررت في عام 1981 إبقاء الوضع على ما هو عليه، ثم عادت وأعلنت عن موافقتها على استحداث شارة **الكريستالة (البلورة) الحمراء** بعد أن أصبح من المستحيل تجاهل تفجر الجدل حول الشارتين، وخاصة في فترة ما بعد إعلان الحرب على ما يسمى «بالإرهاب»، والذي ساهم في حدة انقسام العالم بين «شرق مسلم»، و«غرب مسيحي»، وما زالت المواجهات مستمرة يدونها التاريخ في كتابه المفتوح لكل تأويل. واليوم تستخدم 151 جمعية وطنية شارة الصليب الأحمر، و32 جمعية شارة الهلال الأحمر ■

يتساءل كثيرون عن سبب تعثر مؤسسي الصليب الأحمر من توقع أن يُنظر للشارة على أنها شعار ديني

REUTERS

محطات في تاريخ شارات الحماية

1863: مولد الصليب الأحمر

في 17 شباط/ فبراير اجتمع **هنري دونان**، وأربعة أشخاص آخرون لدراسة اقتراح اعتماد علامة مميزة واحدة يدعمها القانون لاحترام الخدمات الطبية التابعة للجيش والمتطوعين التابعين لجمعيات الإغاثة، وضحايا النزاعات المسلحة. وفي 26 تشرين الأول/ أكتوبر، ومع اعتماد المؤتمر الدولي الأول بمشاركة 14 مندوبًا حكوميًا، قرارات إنشاء جمعيات لإغاثة الجنود الجرحى أصبحت فيما بعد جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، اعتمد شارة موحدة للتمييز عبارة عن صليب أحمر على خلفية بيضاء لبساطتها ووضوحها، وسهولة إعدادها والتعرف عليها عن بعد، فضلًا عن كونها مقبولة لطرفي النزاع.

آب/ أغسطس 1864: مولد القانون الدولي الإنساني

اعتمد مندوبو 16 دولة في المؤتمر الدبلوماسي شارة **الصليب الأحمر** على خلفية بيضاء (مقلوب العلم السويسري)، حيث كانت سويسرا قد أرست مبدأ الحياد الدائم وطبقته بشكل صارم كما أقرته اتفاقيتا فيينا وباريس في 1815.

1876– 1878: شارة الهلال الأحمر

إبان الحرب الروسية–التركية، استبدلت الإمبراطورية العثمانية بالصليب الأحمر الهلال الأحمر على الخلفية البيضاء. ومع احترامها الكامل لرمز الصليب الأحمر، رأت السلطات العثمانية أن هذا الرمز بحكم طبيعته يثير حفيظة الجنود المسلمين. وقد تمت الموافقة على استخدام الهلال الأحمر مؤقتًا في أثناء فترة النزاع.

1929: الهلال الأحمر

في 27 تموز/ يوليو 1929، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وافق المؤتمر الدبلوماسي على استخدام تركيا ومصر وإيران فقط لشارتي **الهلال الأحمر**، **والأسد والشمس الأحمرين** كعلامتين مميزتين تضافان إلى **الصليب الأحمر**.

1949: رفض شارات إضافية

في 12 آب/ أغسطس 1949، اجتمع المؤتمر الدبلوماسي لمراجعة الأحداث واعتماد **اتفاقيات جنيف الأربع لحماية ضحايا الحرب**. وأعرب المجتمعون عن معارضتهم لتزايد شارات الحماية، رافضين اقتراحًا تقدمت به هولنده لاعتماد رمز جديد موحد، أو لاستخدام رمز واحد فقط هو الصليب الأحمر. ورفض المؤتمر أيضًا الاعتراف بشارة **درع داود الأحمر**، المستخدمة من قبل الخدمات الطبية التابعة للجيش الإسرائيلي، مبقيًا بذلك على **الصليب الأحمر** و**الهلال الأحمر** و**الأسد والشمس الأحمرين** كشارات حماية معترف بها دون غيرها.

1980 : توقف استخدام شارة الأسد والشمس الأحمرين

أعلنت جمهورية إيران الإسلامية تنازلها عن حقها في استخدام **الأسد والشمس الأحمرين**، واستخدامها للهلال الأحمر بديلًا، على أن تحتفظ بحقها في العودة مرة أخرى إلى استخدام الشارة القديمة حال الاعتراف بشارات جديدة.

1992 : المطالبة بشارة إضافية

طالب رئيس **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** الأسبق **كورنيليو سوماروغا** علنًا بإضافة شارة خالية من أي مدلول وطني، أو ديني، أو سياسي.

1999 : الموافقة على شارة إضافية

وافق المؤتمر الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر لسنة 1999 على الاقتراح الخاص بإنشاء فريق عمل مشترك مكون من الدول، والجمعيات الوطنية لدراسة مسألة الشارات للتوصل إلى حل شامل ودائم.

2000: تعثر اختيار شارة ثالثة

تمسكت غالبية الدول والجمعيات الوطنية بشارتي الصليب الأحمر، والهلال الأحمر، لذا كانت الطريقة الوحيدة للتوصل إلى حل يحظى بموافقة عريضة هو اعتماد شارة إضافية ثالثة تخلو من أي مدلول. وعلى إثر ذلك قام مجلس مندوبي الحركة الذي انعقد عام 2001 بإعداد بروتوكول ثالث ملحق باتفاقيات جنيف من أجل عرضه على مؤتمر دبلوماسي موسع، غير أن الاوضاع التي عصفت بالعالم بعد أحداث أيلول/ سبتمبر 2001 حالت دون عقد هذا المؤتمر حتى عام 2005.

ديسمبر/ كانون الأوّل 2005: الكريستالة (البلورة) الحمراء

اعتمدت الدول **البروتوكول الثالث الإضافي** لاتفاقيات **جنيف** خلال المؤتمر الدبلوماسي المنعقد في جنيف، والمؤسس لشارة جديدة تضاف إلى شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر، والتي جاءت على شكل كريستالة (بلورة) حمراء مفرغة على أرضية بيضاء، بحيث يكون بوسع من يستخدمها وضع رمز ثانوي بداخلها يرتضيه. ومن شأن **الكريستالة (البلورة) الحمراء**، إيجاد حل لمختلف المسائل التي واجهتها الحركة على مدار سنوات عدة وخاصة في ما يتعلق بالسماح للبلدان التي لا ترغب في اعتماد الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر بأن تصبح عضوًا كاملًا في الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وذلك باستخدام **الكريستالة (البلورة) الحمراء**، فضلًا عن السماح باستخدام **الصليب الأحمر**، **والهلال الأحمر** معًا.

2007: بدء استخدام الكريستالة (البلورة) الحمراء

بدأ في الرابع عشر من كانون الثاني/ يناير 2007، تنفيذ **البروتوكول الإضافي الثالث** وبذلك أصبح للشارات الثلاث المميزة والمعترف بها وضع قانوني واحد ■

AFP

إيران: الأسباب وراء تقبل عمل اللجنة الدولية

أين تعمل؟

أعمل باللجنة الدولية للصليب الأحمر.

يا إلهي، أنا أيضًا لدي صديق يعمل بالأمم المتحدة!

هذا أمر جيد! ولكنني لا أعمل بالأمم المتحدة! فاللجنة الدولية هي منظمة إنسانية مستقلة عن الأمم المتحدة.

فهمت، أنت تعمل إذن في الهلال الأحمر.

(في يأس) نعم، إلى حد ما.

تعد المقدمة السابقة نموذجًا لحوار متكرر يدور غالبًا بين أحد العاملين في اللجنة الدولية وبين أحد المحيطين به في الشارع أو الحي أو غيرهما من الأماكن. يوضح ذلك الحوار كيف يصنف الآخرون موظف اللجنة الدولية، خاصة في ما يتعلق بالفرق بين المهام المختلفة للمنظمات الإنسانية.

بداية، كان عمل اللجنة الدولية خلال الحرب العراقية–الإيرانية (1980– 1988)، وما بعدها والعمل على ملف المفقودين، هو ما ساهم في رفع الوعي باللجنة الدولية، وأنشطتها وخاصة في الأوساط الرسمية، إلا أن غالبية لا يستهان بها من المواطنين الإيرانيين لم يتعرفوا بعد على طبيعة عمل اللجنة الدولية رغم أهميته. وهو ما دفعني لمقابلة عدد من الإيرانيين ممن يمثلون فئات اجتماعية بعينها للتعرف على رؤيتهم العامة بخصوص اللجنة الدولية، وهم اثنان من الصحفيين، وخبير في دراسات الأديان، ومتخصص في القانون، وأستاذ جامعي، وكان هذا ما خرجت به من الحوار معهم:

الشارة

إيران بلد مسلم به أغلبية شيعية، مع ذلك يمكن القول إن إيران من بين بلدان قليلة في منطقة الشرق الأوسط لا تلعب فيها الشارة دورًا محددًا بشأن قبول اللجنة الدولية وتقييم أدائها. يؤكد أحد الصحفيين: «**الصورة الذهنية في إيران عن الشارة أنها ترمز لمنظمة تؤدي مهمة عالمية حسب تعريفها، ولا تنتمي لبلد أو إقليم معين، ويتسم أداؤها بعدم التحيز والحياد بغض النظر عن اسمها. ولهذا لا يوجد أي ادعاء بشأن عدم تحيز أو حياد اللجنة الدولية التي ينبغي أن يتفق أداؤها مع هذين المبدأين الأساسيين من المبادئ السبعة للحركة الدولية**».

أيضًا، لا يوجد فهم خاطئ للشارة في الدوائر الدينية. فقد ظهرت شارة اللجنة الدولية –فضلًا عن شعارات سبع منظمات ومؤسسات دينية– في صورة ملصقات في جميع أنحاء مدينة قم في أثناء تنظيم فعالية عن القانون الدولي الإنساني والإسلام في عام 2006. يقول أحد متخصصي الشؤون الدينية: «**لا يزال عدد قليل من المنظمات الدينية يعتقد أن للصليب دلالات غربية مشكوكًا فيها، باعتباره رمزًا للديانة المسيحية، ولذا لا تعد الشارة في حد ذاتها سببًا في مشكلات في بعض الأحيان وإنما كلمة الصليب ذاتها**». ويرى أحد الصحفيين أنه: «**حتى وإن كان الصليب رمزًا للمسيحية، فهو يستخدم بحرية في إيران لأن الديانة المسيحية نفسها مقبولة ومعترف بها كدين سماوي، ويحظى أتباعها بالاحترام**».

منظمة الرعاية الطبية

يعرف كثير من الإيرانيين أن اللجنة الدولية منظمة إنسانية تمارس دورًا في مساعدة الضحايا

في أثناء جميع أنواع الكوارث سواء الطبيعية، مثل: الفيضانات أو الزلازل، أو الكوارث التي يتسبب فيها الإنسان، مثل: الحروب والاضطرابات الداخلية. ومع ذلك، فإن الجمهور العام لا يعرف التفاصيل ويعمد إلى اختزال أعمال اللجنة الدولية في الأنشطة الطبية باعتبارها -في تقديره- مجالها الوحيد.

أما بالنسبة للأشخاص الشغوفين بمشاهدة الأفلام، وعلى وجه الخصوص أفلام فترة الخمسينيات والستينيات، ترتبط صورة اللجنة الدولية في أذهانهم بالرعاية الطبية، وسيارات الإسعاف التي تحمل شارة الصليب الأحمر وهي تنقل إلى الخطوط الأمامية ممرضات مخلصات جميلات يرتدين قبعات بيضاء تحمل شارة الصليب الأحمر.

ويتضح الفارق أكثر في أوساط الصحفيين والفئات المتعلمة من المجتمع، ولكن يبدو أن الحرب العراقية–الإيرانية والمساعدات الطبية التي وفرتها اللجنة الدولية آنذاك هي القواسم المشتركة المرتبطة باسم اللجنة الدولية.

منظمة غربية!!

إن وجود المقر الرئيسي للجنة الدولية في سويسرا كدولة غربية هو أمر معروف ومقبول لدى الأوساط الأكاديمية وغالبية الإعلاميين. ومع أن الحقيقة نفسها معروفة عامة لدى الدوائر

ICRC

موشغان محمد*

الدينية دون أي غضاضة، إلا أنه توجد بعض العقليات المتشككة في المنظمة بسبب أصولها الغربية. وبالرغم من ذلك، يمكن أن يساعد الأداء غير المسيس للجنة الدولية في إيران على بناء المزيد من الثقة.

الأكاديميون يهتمون

تحظى اللجنة الدولية بسمعة جيدة في أوساط الأكاديميين الإيرانيين، وعلى وجه الخصوص خبراء القانون والعلاقات الدولية وتتلخص مهمتها الرئيسية بالنسبة لهم في نشر القانون الدولي الإنساني. يعود السبب في ذلك إلى ورش وجلسات مناقشة القانون الدولي الإنساني التي تنظمها بعثة اللجنة الدولية في طهران، بالتعاون مع اللجنة الوطنية للقانون الإنساني التابعة لجمعية الهلال الأحمر الإيراني.

والقانون الدولي الإنساني معروف أيضًا في الدوائر الإعلامية إلى حد ما، وخاصة بسبب عدم تواجد نزاع على أراضيها. ومع ذلك، لا يبدو معروفًا بين الصحفيين مقارنة بمن لديهم خلفية قانونية أو اجتماعية، بالرغم من أهمية الجزء المعني بحماية الصحفيين في أوقات النزاع الوارد في القانون الدولي الإنساني، وهو ما توجه له اللجنة الدولية عنايتها عند تنظيم دورات تدريبية وحلقات عمل للصحفيين، الذين يكتسبون جل معارفهم عن القانون الدولي الإنساني عبر تلك اللقاءات.

ما بين الإسلام وحقوق الإنسان

في ختام أحد النقاشات مع المتخصصين في الشريعة الإسلامية، أكد بوضوح أنه «**لم يكن هناك تصور محدد للقانون الدولي الإنساني لدى رجال الدين قبل انعقاد مؤتمر الإسلام والقانون الدولي الإنساني في إيران في 2006. وقد أسفر المؤتمر نفسه واجتماعات مسؤولي اللجنة الدولية مع الشخصيات الدينية في أثناء زياراتهم إلى إيران من خلال مكتب الدراسات الإسلامية المقارنة والقانون الدولي الإنساني ومقره مدينة «قم»، عن تعزيز المعرفة باللجنة الدولية والقانون الدولي الإنساني في أوساط رجال الدين والدوائر الدينية، وخاصة بين المشاركين بصورة مباشرة في المشروع**».

من جهة أخرى، يعد الفارق بين القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان والخط الرفيع الذي يفصل بينهما في عيون الجمهور العام من أهم القضايا وأكثرها إلحاحًا. ويمكن القول إنه بالرغم من كل اجتماعات الخبراء المنعقدة بشأن القانون الدولي الإنساني، فإنه لا توجد معلومات كافية عن الخيط الرفيع الذي يفصل بينهما، حيث إن المستوى الذي تتقيد به اللجنة الدولية عند التعامل مع حقوق الإنسان غير معروف بوضوح للأشخاص المعنيين سواء من الأكاديميين أو الدوائر الدينية أو الصحفيين.

الحركة الدولية

أصبحت الحركة الدولية معروفة جيدًا لدى الأوساط الأكاديمية وكذلك الإعلامية في الوقت الراهن، لا سيما خبراء القانون والصحفيين وذلك بفضل جهود اللجنة الدولية والدور النشط الذي ظلت تمارسه اللجنة الوطنية للقانون الإنساني بين تلك الأوساط عقب إنشائها منذ 13 عامًا. وبات من المعروف جيدًا أن الجمعيات الوطنية واللجنة الوطنية والاتحاد الدولي كلهم أعضاء في أسرة واحدة. ومع ذلك، لا يوجد القدر نفسه من التمييز في الأوساط الدينية، وقد يكون التصور الرئيسي لديها هو أن اللجنة الدولية هي النظير الأوروبي لجمعية الهلال الأحمر الإيراني وتؤدي المهمة نفسها.

عامة، لا يوجد تمييز واضح بين شارة اللجنة الدولية (**الصليب الأحمر**)، وشارة الجمعية الوطنية في البلدان المسلمة (**الهلال الأحمر**). وبالتالي لا يوجد حد فاصل واضح بين الأدوار المختلفة التي يؤديها الشركاء في الحركة الدولية. كما أن الرأي العام الإيراني لا يفرق بين أعضاء الحركة الدولية، كما أن صفتهم المحلية أو الدولية لا تؤثر على أهمية أعمالهم الإنسانية.

وبشكل عام، فقد مرت عشر سنوات على استعادة اللجنة الدولية لتواجدها الدائم في إيران، ولم تواجه المنظمة مشكلة بعينها خلال تلك الفترة تتعلق بشارتها أو أدائها. كما أن الاتجاه الإنساني غير المتحيز للجنة الدولية شديد الوضوح. ويمكن التصدي تدريجيًا للحالات القليلة لإساءة التفسير من خلال جهود بعثة اللجنة الدولية في إيران في نشر القانون الدولي الإنساني، وعملها وفق مبدأ الحياد ■

* Mojgan Mohammed المستشارة الإعلامية بمكتب اللجنة الدولية في طهران

العراق: تجربة معاصرة من سوء الفهم

يسرد ثلاثة من الموظفين المحليين في العراق تجربتهم في ما واجهوه من تصورات مغلوطة ومخاوف لا أساس لها من الصحة في تعاملهم مع أشخاص يجهلون طبيعة عمل اللجنة الدولية ومهمتها.

يستدعي **فلامرز محمد علي**، مدير مكتب **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** بمحافظة **دهوك** شمال العراق تفاصيل موقف دال على الأفكار الخاطئة التي وجدت طريقها إلى كثير من العراقيين فترة ما بعد الغزو:

«في أيار/مايو 2010، وبهدف تسهيل نشاطات اللجنة الدولية في العراق، وتوسيع حوارها مع أئمة المساجد وقادة الأوساط الدينية، نظمت اللجنة الدولية ندوة بحضور مجموعة من أئمة وخطباء المساجد وبعض الشخصيات الدينية المعروفة، فضلًا عن نخبة من خبراء من اللجنة الدولية المختصين بالقانون الدولي الإنساني وصلته بالشريعة الإسلامية.

قبل بدء الفعاليات، وتبعًا لما هو متعارف عليه، تم وضع شارة اللجنة الدولية المنظمة للحدث في مكان انعقاد الندوة. دخل أغلبية الحاضرين إلى القاعة عدا القليل منهم، ممن أصروا على البقاء في الخارج رافضين الدخول، عندها خرجت لمعرفة ما الذي يجري وللتأكد أن كل شيء يسير على ما يرام. وعندئذ أخبرني أحدهم رفضهم دخول القاعة التي تم تزيينها بعلامة المسيحية، ولتجنب سوء الفهم واحترامًا لرغبتهم، قام فريق العمل بإنزال الشارة داعين المعترضين للانضمام إلى زملائهم.

استمرت الندوة بصورة طبيعية ومعتادة، حتى المحاضرة الأخيرة التي كانت تدور حول تفويض اللجنة الدولية، ورسالتها، ونشاطاتها، وتاريخ الشارة، والتي انتهت بالسماح للحضور بطرح أسئلتهم للإجابة عليها بدقة وتفصيل، والتي دارت في معظمها حول أصل الشارة، وسبب استخدام شارة الصليب الأحمر. وكان أن طلب مني أحد المعارضين لدخول القاعة في البداية إعادة وضع علم اللجنة الدولية إلى مكانه بعد اكتشافه بُعد الشارة عن الرمزية الدينية، وقطيعة اللجنة الدولية مع أية أنشطة تبشيرية».

أما **مصطفى صباح**، مسؤول الإعلام بمقر بعثة اللجنة الدولية في العاصمة العراقية **بغداد**، فقد تعرض لموقف آخر يسرده قائلًا: **«كنت في زيارة ميدانية إلى قضاء أبو غريب، 25 كم غربي بغداد، وكالمعتاد وضعت شارة الصليب الأحمر على صدري لتمييزي عن الآخرين، بينما أدون ملاحظاتي عن مقابلة المستفيدين من مشروع بناء مركز للرعاية الصحية الأولية. ورويدًا اقترب مني أحدهم ليسألني همسًا: «هل أنت عراقي؟»، أومأت بالإيجاب، فأبدى الشاب تعجبه من حملي لشارة الصليب الأحمر. وهنا شرحت له كونها شارة لخدمة الإنسانية، بدون تمييز بين دين، أو عرق، أو طائفة، وحدثته عن الشارة وتاريخها ومهام اللجنة الإنسانية، وما تقدمه لضحايا النزاعات، وشيئًا فشيئًا اهتم الشاب بما أقول وأثنى على عمل اللجنة الدولية ودورها في تخفيف معاناتهم،**

على مدار أكثر من ثلاثة عقود لعبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر دورًا محوريًا في مساندة الضحايا وذويهم في العراق، وهو ما استقبله العراقيون المستفيدون من خدمات ومعونات اللجنة الدولية بالشكر والعرفان، لا سيما أن اللجنة الدولية تنأى في مهمتها الإنسانية عن التدخل في الأمور الدينية والسياسية، بالتركيز على خدمة الضحايا من المدنيين.

مختتمًا حديثه بمصافحة قوية مصحوبة بالشكر على إيضاح ما استغلق عليه نتيجة ما يتردد من شائعات.

من جهة أخرى، فرض عملي منذ عام كمسؤول لمتابعة الأخبار التصفح اليومي للشبكة العنكبوتية، وخصوصًا مواقع التواصل الاجتماعي الشهيرة، ومنها: الفيسبوك، وتويتر، وإنستغرام وغيرها، ومن خلال متابعتي لصفحات اللجنة الدولية على تلك المواقع تنبهت إلى ضرورة نشر الوعي بين العامة في ما يتعلق بعمل اللجنة الدولية وتاريخ شارتها، عبر تلك المواقع التي يتصفحها الشباب بانتظام. وقد وجدت أن كثيرًا من المفاهيم الخاطئة حول اللجنة الدولية ناتج عن جهل البعض بطبيعة عملها، وذلك عبر التعليقات الساخرة التي تتعجب على سبيل المثال من اهتمام اللجنة الدولية بزيارة مركز احتجاز غوانتانامو، بينما تقف ساكنة أمام الإبادة الجماعية للمسلمين في أفريقيا الوسطى، مع ما في ذلك من اتهام بالتقاعس والتبشير والتجسس لصالح الغرب، وهو ما يتنافى ومهمة اللجنة الدولية. وإن كان هذا لا ينفي بالطبع معرفة كثير من مستخدمي الإنترنت لطبيعة عمل اللجنة الدولية، وخاصة الميداني، ودورها في مد يد العون في فترات الأزمات والنزاع والحروب، ومنها على سبيل المثال ما تم في العام الماضي في منطقة الحويجة التابعة لمحافظة كركوك، وفي الأنبار في بداية العام الحالي».

بينما يرى **مؤيد محمد**، مسؤول الإعلام والنشر في البعثة الفرعية للجنة الدولية في محافظة **كركوك** أن طبيعة العمل في بيئة عربية إسلامية محافظة ساهمت في الفهم الخاطئ لمهمة اللجنة الدولية، خاصة مع حملها لشعار واسم يثيران حفيظة البعض لنعرات اثنية وطائفية، ويضيف **مؤيد**:

«من خلال تجربتي الميدانية في التعامل مع مختلف الشرائح والفئات من القادة الإداريين والسياسيين والعسكريين، إلى عامة الناس من أبناء العشائر، والعمال، والأرامل، والمعوقين، يتراوح استقبال اسم اللجنة الدولية بين فهم وتقبل لدى بعض المطلعين والمهتمين بعمل الهيئات الإنسانية، وبين شك يعود إلى خلفية ثقافية متأثرة بالموروث العرفي المتوجس من الغرباء، الذي يستحضر قصصًا تاريخية، مع إسقاطها على الواقع الحالي.

ومن المواقف الدالة، ما واجهته في زيارتي الميدانية لمنطقة الحسينية، قضاء الحويجة، محافظة كركوك، وفي أثناء لقاء المستفيدين من مشروع المياه في المنطقة، لفت نظري أن البعض ومنهم حارس المحطة نفسه يتحاشون ذكر اسم الصليب الأحمر، مكتفين بوصف المشروع كونه (مشروع المنظمة)، أو مشروع حاج عمر (مهندس المشروع). انتهزت الفرصة، وشرحت لهم مهمة ومبادئ وعمل اللجنة الدولية، والتفويض الدولي لها. في الزيارة الثانية لاحظت موقفًا مغايرًا للمجموعة نفسها، التي أصبحت تشير لمحطة المياه باعتبارها مشروع (الصليب الأحمر) دون حساسية تذكر، وهو ما تكرر في مواقف أخرى وجلسات توعية في قرى جنوب قضاء داقوق على سبيل المثال، حيث تتكرر الأسئلة عن البعد الديني للشارة، وهدف اللجنة الدولية من خدمة المسلمين، هذا في الوقت الذي تواجهنا قوالب تنميط الشارة المتعلقة بانتماء كل العاملين في اللجنة الدولية إلى سلك الطب والتمريض، بحيث تصبح الاستشارات ومطالبتنا بالأدوية أمورًا معتادة نتجاوزها بشرح طبيعة مهمتنا، وهو ما يتكرر مع الخلط بين موظفي اللجنة الدولية ومتطوعي أو موظفي الهلال الأحمر».

ختامًا، يجمع أغلب العاملين في اللجنة الدولية من الموظفين المحليين والأجانب في العراق على ضرورة بذل المزيد من الجهود لنشر الوعي بمهمة، ومبادئ، وتفويض عمل اللجنة الدولية في أوساط المجتمع العراقي وعملها بشراكة مستمرة مع جمعية الهلال الأحمر العراقي، فضلًا عن خلق مساحة للحوار حول تأثير العمل الإنساني وثقافة العمل التطوعي والإنساني لمساعدة وتخفيف المعاناة عن ضحايا النزاعات المسلحة، مع الاعتراف في الوقت نفسه بصعوبة المهمة ■

AFP

لم تتخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر قط عن رسالتها في العراق رغم التحديات الهائلة التي واجهتها منذ بداية زيارة أسرى الحرب العراقية الإيرانية (1980–1988)، واستمرت مع **حرب الخليج الأولى** (1991)، وما تلاها من حصار واجهه موظفو اللجنة بتوفير خدمات المياه والصحة وغيرها من الخدمات الأساسية، وكذلك **حرب الخليج الثانية** (1990–1991)، حيث عملت اللجنة الدولية على تيسير الحوار من أجل متابعة الملفات المتعلقة بموضوع الأسرى والمفقودين، وبقي العاملون الدوليون في الصليب الأحمر في **بغداد** خلال الغزو الأمريكي وخلال حملات القصف الجوي للتحالف في كانون الأول/ديسمبر 1998 بعد سحب معظم الهيئات الدولية لفرقها من العاملين الأجانب.

فعليًا، ساءت الأحوال بعد الغزو الأمريكي للعراق في 2003 وبلغت ذروتها في السابع والعشرين من تشرين أول/ أكتوبر 2003، الذي تزامن والأول من رمضان وسلسلة انفجارات، كان من بينها تفجير قنبلة كانت مخبأة على ما يبدو في داخل سيارة إسعاف تابعة لأحد المستشفيات العراقية، مما أدى إلى مقتل 34 شخصا بينهم اثنان من العاملين في اللجنة الدولية وإصابة 224 آخرين فضلًا عن تدمير الجدار الأمامي لمبنى بعثة اللجنة الدولية في **بغداد**، وسقوطه إلى الداخل، وتحطم كل النوافذ جراء الانفجارات.

وجاء هذا الحادث، بعد تخفيض اللجنة الدولية لعدد الأجانب العاملين بها في العراق من أكثر من مائة إلى نحو 30 إثر مقتل فني سريلانكي بالرصاص في تموز/يوليو من العام نفسه، وبعد أن دمرت عملية انتحارية مقر الأمم المتحدة في آب/أغسطس مما أسفر عن مقتل 22 بينهم مبعوث الأمم المتحدة **سيرجيو سييرا دو ميلو**. وكان تعرض مقر بعثة اللجنة الدولية للتفجير سببًا في نقله إلى العاصمة الأردنية عمّان مع بقاء عدد لابأس به من الموظفين المحليين للعمل في ظل ظروف صعبة خلال سنوات شهدت حالات عنف مكثفة في العراق كان للبعد الطائفي دخل في اندلاع عدد منها، مما أثر على سهولة حركة موظفي اللجنة الدولية -وخاصة الأجانب منهم-، ولم يتم السماح بعودتهم إلا في نهاية عام 2013 لمواصلة مهمتهم الصعبة ■

ICRC

اليمن: أن تحمل «صليبًا أحمر» في أرض المسلمين

هنا اليمن السعيد، أرض التقوى المشبعة بالتقاليد، والغنية بالتاريخ وقصص الإيمان.

هنا صنعاء، حيث مسجد الجامع وهو من أقدم المساجد في الإسلام، بني في حياة النبي ﷺ، الذي أمر وبر ابن يحنس الأنصاري حين أرسله إلى صنعاء واليًا عليها فقال: «ادعهم إلى الإيمان، فإن أطاعوا لك به، فاشرع الصلاة، فإذا أطاعوا لك بها فمر ببناء المسجد لهم في بستان بآذان، من الصخرة التي في أصل غمدان، واستقبل بها الجبل الذي يقال له: ضِيْن».

ICRC

في اليمن، حيث تعمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ عام 1962، في التخفيف من معاناة المجتمعات التي تعاني من آثار النزاعات والقتال، وحيث ينظر كثيرون إلى الصليب الأحمر باعتباره شارة دينية، وحيث قد يساء فهم عمل اللجنة الدولية في سعيها من أجل الإنسانية. ولتبديد الشكوك، هنا بعض الإجابات على أكثر الأسئلة التي تطرح علينا في الميدان.

■ لماذا تسمون أنفسكم بالصليب الأحمر؟ ما هو أصل شارة الصليب الأحمر؟

في مدينة **جنيف** السويسرية، عام 1863، تم الاتفاق على اسم **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** وشارتها. وتكريمًا لمؤسس المنظمة السويسري **هنري دونان**، تم اختيار الشارة (الصليب الأحمر على خلفية بيضاء)، باعتبارها معكوسًا لألوان العلم السويسري الاتحادي (الصليب الأبيض على خلفية حمراء)، المشهود بحياديته عالميًا، دون أن يعكس هذا مدلولًا أو انحيازًا دينيًا.

إضافة إلى ذلك، يعد اللون الأبيض رمزًا للحيادية في النزاعات المسلحة والحروب، إذ إنه من المرفوض إطلاق الرصاص على شخص يحمل رايةً بيضاء. كما أن التضارب اللوني القوي بين الأحمر للصليب والخلفية البيضاء، يجعل الشارة الوقائية واضحة وملحوظة من مسافة بعيدة.

■ لماذا تصر اللجنة الدولية على استخدام شارة الصليب الأحمر؟

يتم استخدام شارتي الهلال الأحمر والصليب الأحمر، اللتين أقرتهما اتفاقيات **جنيف** في ما يزيد على 190 دولة في العالم كعلامة متفق عليها للحماية التي يمنحها القانون الدولي الإنساني للأشخاص، والمركبات ومباني الخدمات الطبية التابعة للقوات المسلحة، والأطقم الطبية التابعة لمنظمات المجتمع المدني، والأشخاص، والمركبات، والمباني التابعة للجنة الدولية للصليب الأحمر،

* من إعداد قسم الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء

وكذلك التابعة للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وسيكون من الصعوبة بمكان لأي شارة جديدة الحصول على شهرة وقبول كالمتاح لما هو معروف بالفعل.

بصفة عامة، في ما يتعلق بالجزء الأكبر من عملها، لم تواجه اللجنة الدولية أي مشاكل ناتجة عن استخدامها لشارة الصليب الأحمر. على سبيل المثال، أصرت حركة **طالبان** في أفغانستان على قيام اللجنة الدولية باستعمال شارتها بشكل واضح. أما في إندونيسيا، الدولة المسلمة الأكبر من حيث عدد السكان، فيتم استخدام الصليب الأحمر كشارة للجمعية الوطنية دون وجود حساسية دينية تذكر.

في الوقت نفسه، تفضل اللجنة الدولية الابتعاد عن الأضواء، إذا ما كان الظهور من شأنه تعريض عملها وموظفيها للخطر، مع الاستمرار في تنفيذ أنشطتها من أجل الضحايا دون رفع شارة الصليب الأحمر، في الوقت الذي تتواصل فيه مع أطراف النفوذ لإقناعهم بحيادية الشارة، كما كان الحال في العراق بعد أن تم استهداف مكاتبنا في العام 2003، حيث لم يتم العودة لاستخدام الشارة مرة أخرى إلا اعتبارًا من العام 2007.

■ لماذا لا تستخدمون شارة الكريستالة (البلورة) الحمراء عوضًا عن الصليب الأحمر؟

هناك شارة إضافية أخرى، وهي الكريستالة (البلورة) الحمراء، ولا تحمل كسابقتيها من صليب وهلال أي مدلول وطني، أو ثقافي، أو ديني، أو سياسي، أو عرقي. قام المؤتمر الدبلوماسي بإقرار شارة الكريستالة (البلورة) الحمراء عام 2005 بموافقته على البروتوكول الإضافي الثالث لاتفاقية **جنيف**، إلا أن الجمهورية اليمنية لم تقم بالتوقيع أو التصديق على هذا البروتوكول، ولهذا لم يتم الاعتراف بهذا الشعار في أنحاء اليمن. علاوة على ذلك، فإن الكريستالة (البلورة) الحمراء شارة مكملة، ولا تحل محل الهلال أو الصليب الأحمر كشعارات مشهورة ومحمية من قبل القانون الدولي الإنساني.

■ ما صحة لجوء اللجنة الدولية إلى شارة الكريستالة (البلورة) الحمراء لإرضاء دول بعينها؟

إجمالًا، إن الحاجة لتبني شارة إضافية أخرى تتمثل في محورين، أولهما الحاجة إلى توفير الحماية في الحالات التي لا يمكن فيها احترام حيادية شارتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر، وثانيهما تلبية احتياجات البلدان التي استخدمت شعارات أخرى على مدى زمني طويل، وتم اقتراح شارة الكريستالة (البلورة) الحمراء كشارة إضافية للأسباب التالية:

1- تحسين الحماية للأعمال الإنسانية باسم ضحايا الحرب

2- تمكين الجمعيات الوطنية التي لا تريد استخدام الشارات الحالية للانضمام إلى الحركة

3- توفير شارة إضافية للاستخدام الممكن من قبل الجمعيات الموجودة

4- الحد من انتشار وتكاثر الشارات المتعددة الأخرى

أما في ما يتعلق بالمركبات أو المرافق التي تستخدم شارتي الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر فإنها يجب أن تكون معتمدة ومخولة للقيام بذلك (على سبيل المثال الطاقم الطبي التابع للقوات المسلحة أو أعضاء الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، لا بد أن يرتدي فريق الإسعافات الأولية في جمعية الهلال الأحمر اليمني شارة الهلال الأحمر). ومن المتعارف عليه، في أوقات النزاعات المسلحة وأعمال العنف الأخرى، تعد الشارات وقائية ولا تستخدم إلا لأغراض إنسانية، وينبغي احترام وحماية الأفراد الذين يظهرون الشارة في كل الأوقات، ولذا فإن إساءة استعمال الشارة من قبل الأفراد غير المخولين أو المصرح لهم باستخدامها يعد انتهاكًا صارخًا للقانون الدولي الإنساني.

■ ما هي مصادر تمويل اللجنة الدولية للصليب الأحمر؟

يتم تمويل اللجنة الدولية للصليب الأحمر من خلال مساهمات تطوعية من الأطراف الموقعة على اتفاقيات **جنيف**، والجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، والمنظمات فوق المستوى الوطني (مثل المفوضية الأوروبية)، وبعض المصادر العامة والخاصة. كما تطلق اللجنة الدولية نداءات سنوية لتغطية التكاليف المتوقعة في المقر والميدان، وتتبعها نداءات إضافية إذا لزم الأمر.

■ لماذا لا تذهب المساعدات الإنسانية للجنة الدولية إلى الفقراء الأكثر احتياجًا؟

لدى اللجنة الدولية باعتبارها منظمة غير متحيزة ومحايدة ومستقلة، مهمة إنسانية واضحة تتمثل في حماية السكان المدنيين المتضررين من النزاعات وأعمال العنف الأخرى. وفي ضوء تلك المهمة المحددة، يتولى زملاؤنا الميدانيون مهمة التعرف إلى احتياجات السكان المتضررين لتقرير نوعية المساعدات المقدمة، بهدف التخفيف من معاناة السكان، ولذا فاللجنة الدولية لا تعمل خارج هذا الإطار، وليس من مهامها العمل على مكافحة الفقر ■

منذ أول تواجد لموظفي اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن عام 1962، بعد اندلاع النزاع المسلح بين الجمهوريين والملكيين، يحظى كثير من اليمنيين بدعم اللجنة الدولية، والتي مرت عملياتها بفترات من التوقف حتى توقيع اتفاقية مقر والانطلاق من مكتبي صنعاء وعدن عام 1994.

اليمن: تجربة اللجنة الدولية لتجاوز

الشك والمخاوف

ICRC

ICRC

بالرغم من التواجد المكثف، فإنه نظرًا لتصاعد وتيرة الأحداث، واجه موظفو اللجنة الدولية مشاكل عدة منها ما تردد من شائعات تتهم اللجنة الدولية بالطائفية والتحيز، وهو ما عمل فريق المنظمة في اليمن على مواجهته بالحوار، وتوفير المعلومات اللازمة لتصحيح المفاهيم الخاطئة.★

بين عامي 2003 و2004، رأت **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** في اليمن التخفيف من ظهورها العلني بالتوقف عن استخدام شارة الصليب أو أي شعار آخر يدل على وجودها أو على مكاتبها. إلا أنها قامت باستخدام شارة الصليب الأحمر، بين عامي 2004 و2008، على المركبات التابعة لها ميدانيًا داخل **صنعاء** وخارجها باستثناء **صعدة**. ويعود تاريخ آخر استخدام منهجي لشارة الحماية على مركبات ومباني اللجنة الدولية إلى عام 1994، وبالتحديد في جنوب البلاد. وكبديل، قامت اللجنة الدولية باستخدام مستطيل أسود مكتوب بداخله الحروف الأربعة الأولى المكونة لاسم **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** باللغة الإنجليزية (ICRC).

في عام 2011، اتخذت بعثة اللجنة الدولية في اليمن قرارًا يقضي بإعادة استخدام الشارة في البلاد إلى الفضاء العام تدريجيًا –حسب الإمكانية– كشارة حماية تعريفية، إلا أن عام 2013 شهد إزالة الشارات مرة أخرى عن معظم المركبات التابعة للجنة الدولية، نظرًا لعدم استقرار الوضع الأمني والحوادث المختلفة التي تتعلق بمركبات اللجنة الدولية. ومع ذلك، فإن اللجنة الدولية في اليمن اتخذت في 2014 خيار ظهور أكبر بوضع علامات على المشاريع التي تتولى رعايتها، مع استمرار تواصلها المباشر والحي مع المستفيدين والسكان المستهدفين.

أسئلة متوجسة وإجابات قاطعة

اعتمد الفريق الإعلامي للجنة الدولية في صنعاء عددًا من وسائل الحوار مع المتواصلين مع مكاتب اللجنة في اليمن، وكانت إحدى هذه الوسائل الإجابة بوضوح عن الأسئلة الأكثر تكرارًا، التي يتداولها البعض همسًا، وذلك في حوار مفتوح لم تنقصه الشجاعة من الطرفين، دار على النحو التالي:

■ لماذا لا تستخدم اللجنة الدولية شعار الهلال الأحمر؟

يستخدم شعار الهلال الأحمر من قبل الجمعية الوطنية للهلال الأحمر اليمني (YRCS). وتعد كل من **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** (ICRC) و**جمعية الهلال الأحمر اليمني** أفرادًا في العائلة الإنسانية نفسها (وهي الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر)، إذ يتم العمل في إطار شراكة متكاملة، وخاصة في أوقات الحروب والنزاعات المسلحة. ولكن لكل منهما مهمات، وأدوارًا مختلفة، وشارات مختلفة أيضًا، وبينما تختار الجمعيات الوطنية شارة الصليب الأحمر أو الهلال الأحمر، فإن اللجنة الدولية لها شعار واحد تستخدمه في كافة البلدان التي تعمل بها.

■ منذ سنوات وحتى الآن، اعتاد اليمنيون على رؤية بعض المركبات عليها علامة اللجنة الدولية بحروف سوداء داخل مستطيل أسود. لماذا تظهر شارة الصليب الأحمر من جديد؟

قامت اللجنة الدولية باستخدام شارة الصليب الأحمر منذ وصولها إلى اليمن عام 1962 وحتى التسعينيات. بعد اندلاع الحرب الأهلية عام 1994م، تبنت اللجنة الدولية سياسة الظهور الأقل خفوتًا للحفاظ على موظفيها، حيث كشفت بعض المؤشرات عن عدم قبول أو فهم الشارة بشكل جيد في بعض المناطق.

للأسف، فإن الشارة (سواء شارة الصليب الأحمر أو شارة الهلال الأحمر) في بعض الأحيان يتم النظر إليها بشكل خاطئ على أنها تحمل دلالات دينية، أو ثقافية، أو سياسية، وهذا يسبب مخاطر أمنية عالية. في العديد من البلدان ونتيجة لهذه المفاهيم الخاطئة، تمت مهاجمة مكاتب بعثات اللجنة الدولية، والاعتداء عليها وقتل موظفيها. وبالرغم من أن الشارة لا تحمل مدلولًا دينيًا، فإن الكثير من اليمنيين يحاولون ربط الشارة بالدين، أي ربط المنظمة بالمسيحية أو الصليبية. ولذا تم اتخاذ قرار مؤقت باستخدام المستطيل الأسود لتجنب أي مخاطر أمنية حتى يمكن تفسير وشرح المعنى الحقيقي للشارة، وطبيعة العمل الإنساني الذي تقوم به اللجنة الدولية في اليمن منذ أكثر من أربعين عامًا وحتى اليوم.

■ ما هو نوع الدعم والمساعدة الذي تقدمه اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن؟

تقوم اللجنة الدولية بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر اليمني في مساعدة المدنيين المتضررين من العنف عن طريق توزيع المواد الغذائية وغير الغذائية بصفة رئيسية للمشردين داخليًا، وتقوم أيضًا بدعم البنية الأساسية المتعلقة بالمياه والصحة، فضلًا عن الإشراف والرقابة على معاملة المعتقلين من قبل السلطة، وتسعى اللجنة الدولية إلى توسيع أنشطتها في كافة أنحاء البلاد وتمكين اللاجئين من التواصل مع ذويهم وأسرهم، وتمكين اليمنيين من تحديد أماكن أقاربهم المعتقلين في الخارج والتواصل معهم بمن فيهم الموجودون في معتقل **غوانتانامو**، وتعمل اللجنة الدولية على دمج القانون الدولي الإنساني في التشريعات الوطنية، والمناهج الدراسية، وتدريب القوات المسلحة، وقوات الشرطة. •••

إعداد فريق الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في صنعاء

ICRC

الرسائل الأساسية التي نشرها الفريق الإعلامي للجنة الدولية في صنعاء:

- تعمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الجمهورية اليمنية منذ عام 1962، وأصبح وجودها دائمًا ومستمرًا منذ عام 1994.
- اللجنة الدولية للصليب الأحمر هي منظمة إنسانية محايدة وغير متحيزة، تتجسد مهمتها في التخفيف من معاناة الأشخاص الذين يعانون من العنف والنزاعات المسلحة.
- تعد اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر جزءًا من الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. أما بالنسبة لشاراتها فهي شارات حماية ولا تحمل أي مدلولات دينية.

■ لِمَ لا تتحدثون علنًا عن الانتهاكات التي ترصدونها؟

تنتهج اللجنة الدولية السرية في التعامل مع القضايا الحساسة، مثل: عملها في المعتقلات، وجهودها لضمان احترام حياة وكرامة المدنيين، والأفراد الذين يحميهم القانون الدولي الإنساني.

تثق اللجنة الدولية أن السرية من أهم مبادئ تمكينها للوصول إلى المتضررين من القلاقل الأمنية والعنف والنزاع المسلح، لأن السرية هي التي تبني الثقة وتفتح قنوات الاتصال والأبواب لموظفي اللجنة الدولية بهدف التغيير. ولا بد من احترام السرية لكي تتم المهام بصورة مؤثرة وفعالة، وهذا يعني أن اللجنة الدولية لن تقوم بنشر ما تمت مناقشته مع السلطات، التي نتوقع احترامها لطبيعة حواراتنا معها.

■ لماذا لا يُسمح لموظفي اللجنة الدولية من اليمنيين بزيارة السجون؟

كونها منظمة إنسانية محايدة وغير متحيزة، تسعى اللجنة الدولية إلى الحفاظ على حيادية وسرية منهجيتها وحوارها مع السلطات التي تقوم بالاعتقال في أي بلد من البلدان. يعود السبب وراء عدم السماح للموظفين المحليين بزيارة السجون إلى الرغبة في حماية طبيعة تلك المنهجية، ولحمايتهم أيضًا من الوقوع تحت التأثير، أو الضغط لما يقومون به أو يرونه.

■ ما الذي تفعله اللجنة الدولية بخصوص هجمات استهداف طائرات بدون طيار للمدنيين في اليمن؟

بحسب أعمالها الاعتيادية، تقوم اللجنة الدولية بمشاركة النتائج والتوصيات التي تتوصل إليها مع السلطات المختصة في حوار ثنائي وسري. فالقانون الدولي الإنساني لا يحظر استخدام الطائرات بدون طيار سواء أكان لغرض جمع المعلومات الاستخباراتية، أو لشن هجوم عسكري. إلا أنه ينبغي أن يتوافق استخدام الطائرات بدون طيار للقيام بعملية عسكرية محددة في نزاع مسلح مع أحكام القانون الدولي الإنساني ذات الصلة بشكل دائم، وأهمها مبدأ التمييز والتناسب والاحتياطات اللازمة في الهجوم، وهذا يعني وجوب حماية المدنيين في كافة الأوقات، حيث يحظر توجيه ضربة ضد الأفراد الذين لم يشاركوا أو كفوا عن المشاركة في الأعمال العدائية، كما يحظر أيضًا شن هجوم عشوائي أو هجوم قد يتوقع منه أن يسبب خسائر عرضية من المدنيين، أو من ممتلكاتهم بشكل مفرط بالمقارنة، أو في ما يتعلق بالفوائد العسكرية الملموسة والمباشرة المتوقعة (أي غير المتناسبة).

■ ما الذي فعلته اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص اندلاع العنف في جنوب اليمن؟

في ضوء الاستجابة للاحتياجات الإنسانية فور اندلاع أعمال العنف في جنوب اليمن في 2012، كثفت اللجنة الدولية حضورها في الجنوب (البعثة الفرعية للصليب الأحمر - **عدن**)، سعيًا وراء مساعدة ضحايا النزاعات المسلحة وحمايتهم وتلبية احتياجاتهم والحماية لأرواحهم وكرامتهم.

واستنادًا إلى مبدأ السرية، تواصل اللجنة الدولية حوارها المتعلق بالكوارث، أو العواقب الإنسانية مع الأطراف المسلحة الفاعلة، وأولئك الذين لديهم القدرة على استتباب الوضع والأمن.

■ لماذا تقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر بدعم البلدان العربية والإسلامية؟

بصفة عامة، تعمل اللجنة الدولية في البلدان المتضررة من النزاعات المسلحة والعنف، وتسعى جاهدة للتخفيف من معاناة السكان بغض النظر عن جنسيتهم أو معتقداتهم الدينية أو العرق أو الآراء السياسية. حاليًا تسجل اللجنة الدولية حضورًا قويًا في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في إطار نهج حيادي ومستقل متجذر، حيث تقوم بتقديم المساعدة للآلاف من ضحايا النزاعات السابقة والحالية. من خلال سلسلة من الأنشطة التي تقدم فيها الحماية والمساعدة، بالإضافة إلى العمل على تعزيز احترام القانون الدولي الإنساني. وبطبيعة الحال، تعتمد أنشطة اللجنة الدولية على الوضع، حيث تقف اللجنة الدولية وراء أكبر وأهم عمليات الدعم في البلدان العربية، مثل سوريا والعراق والأراضي الفلسطينية المحتلة ولبنان وإيران وليبيا، والأردن، وبالطبع اليمن ■

في ظل الصور المغلوطة والمفاهيم الخاطئة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة العربية والعالم الإسلامي، من المعتاد أن تتردد على مسامع موظفي اللجنة الدولية محليين كانوا أم أجانب عبارات شك وريبة عن طبيعة عملهم، وهو غالبًا ما يتغير بعد تمام التعارف المدعوم بالحقائق لا الشائعات.

شهادات من الكويت والسعودية واليمن ومصر:

لا محبة إلا بعد إزالة الغشاوة

AFP

هنا ما ترصده شهادات كتبها أصحابها لشرح التحولات في معرفتهم، وعلاقتهم باللجنة الدولية وأنشطتها.

سمير حلواني – مهندس متقاعد وناشط في مجال الأعمال الخيرية (جدة - السعودية)

«انتابتني الدهشة –وأنا من المهتمين بالعمل الإنساني والإغاثي منذ سنوات– بينما أستمع لبعض المعلومات التي جاءت في حديث دار مع صالح مثلوثي من قسم شؤون المجتمع المدني في بعثة اللجنة الدولية الإقليمية في دول مجلس التعاون الخليجي. ارتسمت الدهشة مما سمعته لأول مرة عن جهود وخدمات اللجنة الدولية للصليب الأحمر. تحدث مثلوثي بحرارة وحماس عن جهود اللجنة الدولية المحايدة، التي تنأى بنفسها عن التدخل في شؤون السياسة والدين مما يجعلها مقبولة في أشد مناطق الصراعات سخونة، كما ذكر جهود المنظمة للتواصل مع المعتقلين السعوديين في سجن غوانتانامو عبر نقل الرسائل وترتيب مكالمات عبر برنامج سكايب بين المعتقلين وذويهم، وهو ما وجدت فيه معلومات مهمة للمواطن السعودي أو الخليجي لمعرفة قدر الجهود المبذولة، وتصحيح للمعلومات الخاطئة.

أرى أنه من الواجب علينا العمل جادين باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي مثل التويتر والفيسبوك الأوسع انتشارًا بين الشباب السعودي على سبيل المثال لنشر تلك المعلومات، وخاصة في ما يتعلق بعمل اللجنة في الدول الإسلامية».

♦ ♦ ♦

د. **فيصل محمد الحمد** - ناشط سياسي (الكويت):

«في 1991، مرت عائلتي بأزمة فقد اثنين من الأقارب على الحدود الكويتية العراقية، لم نترك فيها بابًا إلا وطرقناه، وباءت المحاولات جميعها بالفشل. عندئذ، خطرت لي فكرة التوجه مع بعض أفراد الأسرة إلى مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الكويت. عند وصولي، ترددت كثيرًا في الدخول، وتدافعت الهواجس والوساوس في قلبي لدخول ما اعتقدت أنه أحد مراكز التبشير، وهي الفكرة السائدة في ثنايا غالب المجتمعات الإسلامية. في النهاية، استجبت لوطأة الحاجة وضغط الأهل وبكاء الأمهات، وبالداخل تبدلت أفكاري نتيجة النظر بموضوعية لعمل المنظمات الدولية، ووضعها في ميزان لقياس مصالحها ومفاسدها؛ إذ تلقيت معاونة صادقة من موظفي اللجنة الدولية

●●●

المحترفين، وغالبيتهم من العرب المسلمين، ممن شاركونا صلاة الظهر جماعة بحلول وقتها. كما لفت نظري دقتهم وتفاؤلهم الذي تسرب إلينا بعد فقدان الأمل. وهكذا، بعد أيام معدودة، تلقينا اتصالاً من أحد موظفي اللجنة الدولية ليزف إلينا خبر العثور على أقاربنا، ومن ثم العودة إلى الكويت، وهو ما تم بفضل الله أولًا، ثم العمل الجاد لمندوبي اللجنة الدولية.

إن العبرة بالحقائق وليس بالمسميات والشعارات، وحسب ما أعرفه فإن غالبية أنشطة اللجنة الدولية تتركز في العالم الإسلامي المبتلى بالمحن والكوارث، ومن الصعوبة حصر أعداد المستفيدين من خدمات اللجنة الدولية من الضحايا المسلمين سواء أكانوا مفقودين، أو سجناء، أو أسرى، أو لاجئين.

ما أحوج الأمة لخدمات هذه المؤسسة الإنسانية، وما أشد الحاجة لتسهيل أعمالها ودعمها ليتحقق من خلالهم ما وعدنا الله به من كرامة وحرية لم نستطع توفيرها بأنفسنا. ولعلنا لا ننسى ثناء رسول الله (ص) على حلف الفضول، الذي أسسه كفار قريش لإغاثة المظلوم ودفع الظلم، وهو ما يتعارض وما نسمعه عن تصرفات بربرية من قتل للموظفين الأجانب، أو اختطافهم كما حدث في العراق وسوريا. يقول الله سبحانه وتعالى (لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) –الممتحنة: 8–، وعن أبي هريرة (ض) عن النبي (ص) قال: «لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»، ولذا أرى من الواجب توجيه الشكر لأسرة اللجنة الدولية، على ما تقوم به من أعمال وعلى رأسها تخفيف آلام المعتقلين والضحايا وذويهم».

♦ ♦ ♦

صلاح بن سالم بن عباد الكلدي - خطيب وإمام (مواليد 1986، صنعاء – اليمن)

«كغيري من الشباب السلفي الذي نشأ في محاضن العلم الشرعي في المعاهد والمراكز الشرعية، وتلقى العلم على أيدي كبار علماء اليمن لمدة تتجاوز اثنتي عشرة سنة، كان لي تحفظ شديد تجاه كلمة «الصليب»، كما كان يتبادر إلى ذهني فور سماع اسم اللجنة الدولية للصليب الأحمر، كونها منظمة تنصيرية تنشط في البلاد الإسلامية تحت غطاء المساعدات الإنسانية. استمر الأمر مختلطًا هكذا لسنوات، حتى التقيت مؤخرًا بالدكتور عبدالوهاب الحميقاني، الذي حدثني عن دور اللجنة الدولية كهيئة محايدة في تقديم المساعدات للضحايا المتضررين من النزاعات المسلحة، دون تمييز، فضلًا عن دورها في نشر ثقافة الوعي بالقانون الدولي الإنساني. التقيت بعدها بقانونيين مخضرمين من إدارة الشؤون الإسلامية باللجنة الدولية ومنهم د.عامر الزمالي ود.خضر الطري، ممن ألقوا محاضرات وافية ذات فائدة حول القانون الدولي الإنساني، متطرقين إلى دور اللجنة الدولية الحيادي في النزاعات المسلحة.

لاحقًا، وفي أعقاب اندلاع النزاع في منطقة دماج بين الحوثيين والسلفيين، كان البعض يتوجس من اللجنة الدولية، لذا قمت بالدور المنوط بي في توعيتهم والتواصل معهم لتجاوز المخاوف التي لا أساس لها. هذا في الوقت الذي كنت أتشوق فيه لمعرفة المزيد عن المنظمة وأنشطتها، والإلمام بالقانون الدولي الإنساني ومبادئه، وغيرها من المعلومات، وهو ما جعلني أستقبل في بداية العام الحالي مستبشرًا نبأ ترشيحي للمشاركة في الدورة السادسة عشرة في القانون الدولي الإنساني في بيروت.

وخلال أسبوعين من المشاركة الفعالة، والالتقاء بالخبراء الدوليين العرب والسويسريين، تعلمت الكثير عن القانون الدولي الإنساني والإسلام، وعن الفئات والأماكن المشمولة بالحماية، فضلًا عن معرفة المزيد عن الحركة الدولية للصليب الأحمر، وتطور القضاء الجنائي الدولي، وهي أمور ذات فائدة جمة لي كطالب قانون مختص في الفقه الإسلامي، وأستعد حاليًا للانتهاء من الماجستير في الشريعة الإسلامية، رغم تخرجي سابقًا في كلية التربية، قسم علوم القرآن .

أذكر في أثناء انعقاد الدورة، حرصي على مشاركة بعض الأفكار والمعلومات مع الأصدقاء عبر حسابي على الفيسبوك، وهو ما تسبب في نقاشات ساخنة وتعليقات ناقدة متبرمة من جانب البعض، إلا أنني استطعت توضيح بعض الأمور ومنها حقيقة عمل اللجنة الدولية. وفور انتهاء الدورة عدت إلى اليمن مواصلًا مهمتي في التعريف باللجنة الدولية ومبادئ القانون الدولي الإنساني عبر عملي».

♦ ♦ ♦

أحمد زكريا– صحفي مصري مقيم بالكويت (جريدة الوطن)

«لم أعتد الحكم على الأشخاص مسبقًا، وتشكيل وجهات نظر مسبقة عن الأشخاص قبل التعامل معهم، ولكنني أذكر جيدًا تلك الابتسامة الآسرة التي ارتسمت على ملامح وجه رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر

REUTERS

AFP

مواطنان كويتيان أطلق سراحهما في العام 1998 من السجون العراقية يتحدثان أمام مقر اللجنة الدولية

د. فيصل محمد الحمد

ICRC

اللجنة الدولية توزع المياه في مخيم نهر البارد شمال لبنان أثناء أحداث العام 2007.

AFP

جهود مكثفة للجنة الدولية للصليب الأحمر لتوفير التواصل بين المعتقلين في سجن غوانتانامو وأهاليهم

بيتر موريه عندما دلفت من بوابة مقر البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في منطقة الجابرية في الكويت.

دخلت من الباب مبللًا بفعل الأمطار الغزيرة وقتئذ، لكن حرارة استقباله أنستني برودة الجو، في ما كان يجول برأسي أسئلة عديدة لطرحها على شخصية بحجم موريه. وعلى غير المتوقع لم يتحفظ الرجل على الإجابة عن أي سؤال، وخاصة ما يدور حول الأفكار المغلوطة التي يرددها البعض سهوًا، أو عمدًا، وينشرها آخرون جهلًا حول أنشطة اللجنة الدولية.

المتابع لأدبيات اللجنة الدولية للصليب الأحمر وتصريحات مسؤوليها لن يجد فيها تمييزًا ضد دين أو جنس أو عرق أو لون؛ وهو ما يجعل من الهجوم على عمل اللجنة سلوكًا غير مبرر، بل مقيتًا، إذ إنه يعطل منفذًا مهمًا للعمل الإنساني الذي تحتاجه البشرية في ظل الكوارث المتلاحقة جميعها، التي تحتاج لجهود تلك اللجنة وغيرها من أجل رفع المعاناة عن المنكوبين وتقديم العون للمعوزين.

ولا شك أن الكمال لله وحده، ومن الطبيعي أن يكون هناك بعض القصور أو الانتقادات التي يجب أن تكون في إطار السعي نحو تحسين الأداء والوصول للأفضل، أما أن يتعدى الأمر إلى اتهام البعض للجنة الدولية بالعداء لاتجاه، أو دين بعينه، فهو أمر غير مقبول عقليًا ومنطقيًا وخلقيًا. وإن كنت أرى أن تصريحات وعمل اللجنة الدولية في بعض القضايا يجب أن تكون أكثر قوة ووضوحًا، وخاصة في قضية مثل معتقل غوانتانامو، ولكن انتقادي للتناول الدبلوماسي لا يمنعني من إظهار الامتنان لما قامت به اللجنة من جهود في القضية نفسها، وخاصة في ما يتعلق بتنسيق الاتصالات بين المعتقلين وذويهم.

إن متابعتي القريبة لما يقوم به موظفو اللجنة من جهد، يدفعني للوقوف في وجه محترفي التشويه والثرثرة، متقني رمي السهام المسمومة دون تكلفة أنفسهم عناء تقصي الحقيقة، ناصحًا إياهم بأن يرفعوا أيديهم عن اللجنة الدولية، وأن يكفوا عن صلب الصليب الأحمر» ■

صلاح بن سالم بن عباد الكلدي

ICRC

أحمد زكريا

ICRC

شهادة معتقل سابق

سامي الحاج*

لم يتوقع سامي الحاج، السوداني الأصل، أن يؤدي به عمله كمصور تلفزيوني لصالح قناة الجزيرة الإخبارية، للوقوع ضحية للاعتقال في أثناء تواجده مع فريق عمل لتغطية أحداث الغزو الأمريكي لأفغانستان. ألقي القبض على الحاج في شهر ديسمبر/كانون الأول من سنة 2001، واحتُجز لمدة 6 سنوات في معتقل غوانتانامو دون توجيه أية تهم إليه، قبل أن يتم إطلاق سراحه في أيار/ مايو 2008. في هذه الشهادة يكشف الحاج عن تجربته مع موظفي اللجنة الدولية ودورها في دعم المحتجزين وتيسير سبل التواصل مع أسرهم.**

AFP

حكايتي مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ليست استثنائية.. فهي تكاد تنطق بحال كل من قبعوا أو يقبعون في غيابات **غوانتانامو** أو أي من سجون الظلم السوداء، لكنّني آمل أن يسهم سردها في تحسين الخدمات الإنسانية التي تقدمها اللجنة الدولية وعلاقتها بالمعتقلين عبر توضيح مفاهيم معيّنة وتقديم بعض المقترحات.

غنيّ عن التعريف تاريخ هذه المنظمة العريقة، ودورها في التخفيف من عذابات من يطالهم أذى الحرب والتعذيب والأسر. لكن اسمحوا لي أن أعتبر مؤقتًا أن تاريخ ولادة اللجنة الدولية بالنسبة لي هو يوم بداية حكايتي معها، فحينها عرفتها وعرفتني، واعترفت بها –بعد طول رفض– إذ تعرفت إلى منظومة قيمية غابت عن فهمي لهذه المنظمة.

أوّل الحكاية ورقة بيضاء قدّمها لي المحقق الأمريكي في **باغرام** في كانون الثاني / يناير عام 2002، وطلب مني حينها كتابة رسالة لأسرتي وتدوين عنوانها. لم أتعامل مع الموضوع بثقة لأنّني ظننت أنه جزء من التحقيق. الشعور نفسه تملّكني ورفاق الأسر عند لقائنا اللجنة للمرّة الثانية في العام نفسه في سجن **قندهار**، حيث طلب منا مندوبون أن نسرد لهم كيف تم اعتقالنا ونقلنا إلى هناك. لكنّ أولى ومضات التعامل الإيجابي لاحت قبيل حلول عيد الأضحى، إذ

أحضرت لنا اللجنة نسخًا من القرآن الكريم إلى سجن **قندهار**، وفي العيد أحضرت لنا الذبائح وكان لذلك أثر إيجابي هائل لأن هناك من يذكرنا في العيد ويعوّضنا شيئًا من الحرمان في تلك المناسبة العظيمة.

استلمت الرسالة الأولى من أسرتي في أيلول / سبتمبر 2002، رسالة من «الهلال الأحمر القطري»، وكان معها صورة **لمحمّد**، طفلي الذي تركته وهو يدرج أولى خطواته في عامه الأوّل. كان شعورًا لا يوصف.. مزيج غريب من المواساة والأسى. ولأنّ الدموع كانت ردّ فعلي الأوّل، أجهش معي في البكاء كلّ رفاق السجن في الزنزانات المجاورة ظنًّا منهم أنّ مكروهًا ما لحق بأسرتي... استمرّ ذلك لأكثر من ساعة، لم أقو خلالها لا على التوضيح ولا على فتح الرسالة. مجرّد تلقّيها مصحوبة بتلك الصورة كان ذا وقع جلل...وليس عليَّ وحدي!

بعدها أصبح هناك تداول للرسائل مع أسرتي عبر اللجنة، وازدادت ثقتي بها وبدورها مع إيفاد أوّل مندوب عربي من المغرب العربي. وقد زاد من ثقتنا أنه حافظ للقرآن... ولا أذكر هذا هنا لمجرّد السرد، بل للتنويه إلى مفهوم ساد لدينا

نحن المعتقلين بأنّ المنظّمة التي تحمل شعار الصليب هي.. «منظمة صليبية»! ومندوب اللجنة الدولية هذا كان مسلمًا حافظًا للقرآن صحح ما كان يدور في دواخلنا من ظنون عن تلك المنظّمة التي لم يسبق لنا أن تعاملنا معها في بلداننا.

ثمّ توالى علينا المندوبون العرب، وكان لذلك أثر إيجابي كبير من حيث التعامل مع اللجنة، إذ إن حضورهم كان يمنحنا شعورًا بالراحة والثقة.. فهم أبناء جلدتنا وكان يمكن التواصل معهم بشكل أفضل.. الحد الأدنى أنه كان بإمكاننا أن نفهم تعابير وجوههم، وهناك كنا نلمس مشاعر صادقة، وتعاطفًا غير مصطنع.

بعدها أحضرت اللجنة أخصائيين وأطباء. الحصول على العناية الطبّية منحنا شعورًا بالارتياح، وتعزّز ذلك الشعور مع استقدام قانونيين أجابوا على تساؤلاتنا. وأفضل من هذا كان توفير المكتبة التي أمنت اللجنة أكثر من عشرة آلاف مؤلَّف من أمهات الكتب الإسلامية إلى أفضل الروايات البوليسية... ومن أوجه الاستثمار لهذا الكنز المعرفي الذي حصلنا عليه هو تنظيمنا برنامجًا يمتد من المغرب حتى العشاء، وخلاله كان أحدنا يقرأ كتابًا، ويلخصه للآخرين في حلقات مسائية عدة... كنا نقرأ لمن لا يعرفون القراءة وبعضهم بدأ يتقن العربية... والأهم من ذلك كله أن القراءة واستنفارها مخيّلاتنا أسهمت بشكل كبير في احتفاظنا بعقولنا! ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ مستشارًا - عربيا هذه المرة- من إدارة السجن جرّدنا من هذه الكتب محذّرًا إدارة السجن من أنّها «تخرج العلماء»، فأحضروا بعدها لنا قصص «**تان تان وميلو**»، وكتبًا تحمل عناوين مهينة مثل: «**حمار من الشرق**»!

ومع ذلك، عزّزت اللجنة الدولية من إيجابية التواصل مع المعتقلين عبر تطوير وسائل الاتصال بينهم وبين ذويهم لتشمل الإنترنت والهاتف.

وبناءً على ما تقدّم من تجربتي، يمكن الإشارة إلى سلبيات كان يمكن تفاديها في التواصل بين اللجنة والمعتقلين، أوّلها خلق حاجز نفسي وحال من انعدام الثقة باللجنة لدى المعتقل بسبب إيفاد مندوبين من غير العرب.

ثانيًا، هناك مسألة شارة اللجنة. بالطبع ليس معقولًا الطلب من اللجنة استبدال شارتها من أجل بناء جسور الثقة مع متلقّي خدماتها الإنسانية، لكنّه سيكون ذا فائدة جمّة أن تعير اللجنة انتباهها لهذه النقطة، وأن تبادر إلى توضيح مسألة الشعار بتقديم شرح تاريخي يبدّد ظنون الجاهلين به، لا سيّما ذوي الخلفيات الإسلامية.

ثالثًا، ووفقًا لمنهج السرية الذي تتبناه، تحرص اللجنة على عدم نقل مشاهداتها من داخل **غوانتانامو**. للوهلة الأولى فقط، يبدو أنّ الخدمات التي نجحت اللّجنة في تقديمها للمعتقلين تستحقّ هذا الثمن الباهظ، لكنّني كمعتقل سابق أجرؤ على المطالبة بأن لا يكون صمت اللجنة الدولية مطلقًا بل ضمن حدود. هناك ما يمكن -بل يجب- انتقاده صراحةً وعلنًا في الإعلام، وليس أوضح من حرمان معتقلي **غوانتانامو** من امتيازات **اتفاقية جنيف**، أو حقّ الدراسة والرعاية الطبّية. المفارقة أنّنا أحيانًا كنا نشعر بأنّنا من يحمي مندوبي اللجنة وليس العكس: صمتهم جعلهم ضعفاء بنظر سجانينا بينما أردنا نحن أن تكون لهم مهابة وأن يحسب لهم حساب...

من هنا لا بدّ من وضع آلية لتعاون مثمر مع الإعلام الدولي لفضح كلّ الخروق التي تمتهن الكرامة الإنسانية... نجل بالتأكيد نجاح الصليب الأحمر في اختراق أسوار **غوانتانامو**، لكن في زمن يتشدّق فيه الكبار بالديمقراطية وحقوق الإنسان لم يعد مقبولًا الصمت عن وجوده أصلًا.. فكيف عمّا يجري بداخله؟!!» ■

في غوانتانامو

قبل اعتقالي كانت معلوماتي مشوهة للغاية عن اللجنة الدولية

ساهم التفاهم الثقافي مع مندوبي اللجنة الدولية من ذوي الأصول العربية في كسب ثقة المعتقلين

في غوانتانامو وفرت لنا اللجنة الدولية دعمًا طبيًا وقانونيًا ومكتبة للقراءة ورسائل مع الأقارب ورقية وعبر الإنترنت والهاتف

★ مدير إدارة الحريات العامة وحقوق الإنسان بشبكة الجزيرة الإعلامية في قطر ومعتقل سابق في غوانتانامو

★★ نشرت هذه الشهادة باللغة الإنجليزية في العدد 888 من المجلة الدولية للصليب الأحمر، والتي تصدر بصفة دورية بالتعاون بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومطبوعات جامعة كمبريدج.

★★★ يستند التفويض القانوني الممنوح من المجتمع الدولي للصليب الأحمر إلى اتفاقيات جنيف التي تعهد للجنة الدولية بزيارة السجناء في إطار من السرية من أجل توفير أجواء تفضي إلى مناقشة المسائل الحساسة بطريقة صريحة وبناءة، وتنظيم عمليات الإغاثة، وإعادة العلاقات بين الأسر المشتتة، وتولي نشاطات إنسانية مماثلة أثناء النزاعات المسلحة.

هيئة الإغاثة الإسلامية واللجنة الدولية:

دكتور نبيل عزت موسى*

شهد يوم الأحد الثاني من آذار/مارس المنصرم، حفل توقيع خطة العمل بين **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** الدولي و**هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية**، وذلك بمقر الهيئة بمدينة **جدة** السعودية. ويأتي هذا الاتفاق تتويجًا لتعاون ميداني طويل بين الطرفين في أعمال الإغاثة الإنسانية بمناطق النزاعات المسلحة، وكذلك على مستوى التأصيل العلمي والتوعية الإعلامية بالقيم المشتركة، والتي تجلت في الحلقة العلمية التي تعاون الطرفان في إقامتها بالمشاركة مع **منظمة التعاون الإسلامي**؛ في حزيران/يونيو 2013، حول **العمل الإنساني في عصرنا الحالي – الواقع والتحديات**.

بداية، غني عن القول اعتماد اللجنة الدولية على المبادئ الإنسانية دستورًا لها وموجهًا لأعمالها؛ وجُل هذه المبادئ (إن لم يكن كلها) معتمد من قبل الهيئة، بل منصوص عليها في أدبياتها، وأول هذه المبادئ وأهمها: «الإنسانية»؛ والمقصود به أن الهدف من أعمالها هو حماية الأرواح والصحة لضمان احترام الإنسان، والرغبة في تقديم المساعدة للجرحى في ميدان النزاعات المسلحة بدون تمييز، والحيلولة دون وقوع أي مآسٍ إنسانية في أي مكان قدر الإمكان، كما أنها تشجع وتعزز التفاهم، والصداقة، والتعاون، والسلام الدائم بين الشعوب كلها، وفي المقابل فإن رسالة هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تنص على: الريادة في العمل الخيري المؤسسي بما يخدم الإنسانية ويحقق الإعمار والتنمية.

ويأتي المبدأ الثاني للجنة الدولية حاملًا شعار «عدم التحيز» أي التعامل بدون تمييز أو تفرقة بسبب الجنسية، أو العرق، أو المعتقدات الدينية، أو الآراء السياسية، مُنقادة بدافع حاجات الأفراد المنكوبين فقط، مع منح الأولوية لأكثر الحالات تضررًا، وهو ما ينص عليه النظام الأساس للهيئة بتقديم الخير للمتضررين بغض النظر عن الاعتبارات الإقليمية، أو العرقية، أو الدينية، أو المذهبية.

كما أن الحركة الدولية اتخذت لنفسها مبدأ «العالمية»، والذي تتشارك فيه كل الجمعيات في المسؤولية والواجبات، وهو المبدأ الإنساني الذي اتبعته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بدءًا من اسمها؛ ووصولًا إلى هدفها الذي يتم بالتعاون مع المحسنين لتقديم إعاناتهم للمحتاجين والمنكوبين، لإغاثتهم وتنمية مجتمعاتهم، حيث تنتشر برامجها في مختلف بقاع العالم من الفلبين شرقًا إلى البرازيل غربًا.

لقد اتخذت الحركة الدولية لنفسها مبدأ «العمل التطوعي» أي أنها لم تقم بدافع المكسب. وهو المبدأ نفسه الذي تعمل من خلاله هيئة الإغاثة، التي تعتمد على جهود المتطوعين ولها في ذلك تجربة كبيرة ورائدة، باعتمادها مبدأ التطوع منذ قيامها، وأنشأت لتنظيمه وحدة للخدمات التطوعية تحت اسم «**متطوعون بلا حدود**»؛ تنضوي تحته جهود المئات من الأطباء والممرضين والمدرسين والدعاة والشباب من الجنسين.

بالنظر إلى بقية المبادئ الإنسانية الراقية التي تبنتها اللجنة الدولية مثل: «الحياد»، الذي يعني أنها في سبيل التمتع بثقة الجميع، يجب عليها ألا تدعم أحد الأطراف في النزاعات، أو تتورط في أي جدال من أي نوع في أي وقت كان. وكذلك مبدأ «الاستقلال» بحيث تكون قادرة على التحرك وفقًا لمبادئ الحركة في كل وقت. فقد تبنت هيئة الإغاثة سياسات مماثلة مما جعلها تحظى بثقة دولية وشراكة عالمية، وتشارك في عضوية أكثر من 16 مجلسًا ومنظمة، ومبادرة، ومنتدى، واتحادًا، ومكتبًا، وشبكة، ولجنة، على المستويين الإقليمي والدولي.

وكما أن اللجنة الدولية كانت ولادتها من رحم الصراعات الدامية التي غطت الساحة الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد كان منطلق هيئة الإغاثة من رحم الصراعات التي شغلت العالم عمومًا، والعالم الإسلامي خصوصًا، في مرحلة انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، بداية من الغزو الروسي لأفغانستان، ثم صراعات التفكيك والاستقلال بين جمهوريات الاتحادين السوفيتي واليوغوسلافي، ومنها أرمينيا وأذربيجان – صربيا وكرواتيا – صربيا والبوسنة – الشيشان– ألبانيا–....إلخ، والتي تزامنت معها صراعات داخلية في عدة أماكن مثل: الفلبين، والصومال، وتايلند، وإثيوبيا، وإريتريا، وغيرها.

AFP

في شهادته عن التعاون الوثيق بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، يطرح د.نبيل عزت موسى مدير إدارة البحوث والدراسات بالهيئة الإسلامية العالمية تصوره لملامح التشابه والتطابق في الرسالة والأهداف، وأفق التعاون المشترك بين اثنتين من أكبر هيئات الإغاثة في العالم.

* مدير مركز البحوث والدراسات بهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

تحالفٌ من أجل الإنسانية

فقد نشأت كل من المؤسستين في قلب عالم مشتعل سعت كل منهما لتجنيب المدنيين لهيبه المحرق، وقد اختارت الهيئة البقاء بين المتضررين لمساعدتهم على تجاوز آثار الصراع والانتقال بهم إلى آفاق التنمية والإعمار والاستقرار، فأعطت اهتمامًا خاصًا للاجئين أنى كانوا، وللأيتام الذين جُلهم ممن فقدوا عائلهم في تلك الصراعات؛ ساعية بعد توفير الغذاء والكساء والدواء والملاذ، إلى تقديم خدمات صحية، وتعليمية، وتوعوية، وتدريبية، بالإضافة إلى حفر الآبار، والمشاريع الموسمية، والمساعدات الفردية.

ويأتي الاتفاق الذي أبرمته مؤخرًا **هيئة الإغاثة الإسلامية** مع **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** في إطار استراتيجيتها للعمل من خلال الشراكات والتحالفات؛ فالهيئة تتمتع بعلاقات تعاون ولها اتفاقات شراكة مع أكثر من 13 منظمة أممية ودولية وإقليمية؛ لتنفيذ مشروعات إغاثية وتنموية وصحية وبيئية في عدد من دول العالم خاصة التي تعاني من الفقر والكوارث، فضلًا عن الاهتمام بشؤون اللاجئين، والنازحين، ومتضرري الكوارث الطبيعية والصراعات والحروب الأهلية.

هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية

منظمة خيرية إسلامية، منبثقة من رابطة العالم الإسلامي، عالمية الأداء، دولية واسعة الانتشار، ومقرها المملكة العربية السعودية منذ انطلاقها في عام 1979. تعمل الهيئة في مجالات الإغاثة العاجلة، والإيواء السريع، والرعاية الاجتماعية، والتربوية، والصحية، وبرامج تنمية المجتمع، والمشاريع الموسمية، والدعوة. تتعاون الهيئة مع المتبرعين لتقديم الخدمات للمحتاجين والمنكوبين من مسلمي العالم، لإغاثتهم وتنمية مجتمعاتهم. والهيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة، تتمتع بعلاقات تعاون وشراكة مع أكثر من 13 منظمة أممية ودولية وإقليمية لتنفيذ مشروعات إغاثية وتنموية وصحية وبيئية في الدول الفقيرة المنكوبة، ومن ذلك تعاونها مع عدد كبير من هيئات الأمم المتحدة، وكذلك المنظمة العربية لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر في مجال التدريب وتبادل الخبرات.

REUTERS

وإذا كان نشاط **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** يعتني في المقام الأول بمناطق النزاعات والصراع؛ فالهيئة لا تغيب قط عن تلك الساحات، ولعلنا نضرب مثالًا بما تم كرد فعل للمأساة الإنسانية التي يعيشها الشعب السوري الشقيق حيث هبت الهيئة لنصرة منكوبيه سواء أكانوا من اللاجئين في دول الجوار أو حتى من النازحين في الداخل السوري. بلغ إجمالي ما قدمته الهيئة للاجئين والنازحين السوريين، منذ بداية الأزمة السورية في 2011 في الداخل وفي دول اللجوء (لبنان - الأردن - تركيا - موريتانيا - بلغاريا)، ما تزيد قيمته على 93 مليون ريال سعودي، استفاد منها نحو 9 ملايين نازح سوري، كما شرعت الهيئة من خلال مكاتبها في الأردن ولبنان بوضع خطة مستقبلية لإعادة النازحين السوريين إلى مناطقهم الآمنة بدعم المشروعات التي تسهم في استقرارهم وفق إمكانياتهم المتاحة.

وهكذا، يتضح مما سبق القواسم المشتركة بين **هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، واللجنة الدولية للصليب الأحمر**، التي تبشر بنجاح التعاون بينهما بما يفيد المستهدفين؛ باعتباره تحالفًا من أجل الإنسانية ■

تحية إلى ميكائيل

قُتل زميلنا ميكائيل غرويب في مدينة سرت في ليبيا في 4 حزيران/يونيو 2014 عن عمر 42 سنة. ميكائيل آمن بالعمل الإنساني فعمل مع اللجنة الدولية منذ ما يزيد على سبع سنوات، تولى خلالها وظائف في أكثر الأماكن سخونة في العراق والسودان واليمن وغزة. اخترنا هذه القصيدة تحية منا لذكراه، وهي للشاعر الفلسطيني الكبير الراحل محمود درويش.

ICRC

هو.. لا غيره*

هو، لا غيره، من ترجل عن نجمة
لم تصبه بأيّ أذى.
قال: أسطورتي لن تعيش طويلا
ولا صورتي في مخيلة الناس
فلتمتحني الحقيقة
قلت له: إن ظهرت انكسرت، فلا تنكسر
قال لي حُزْنُهُ النَّبوي: إلى أين أذهب؟
قلت إلى نجمة غير مرئية
أو إلى الكهف
قال يحاصرني واقع لا أجيد قراءته
قلت دوّن إذن، ذكرياتك عن نجمة بعُدت
وغد يتلكأ، واسأل خيالك: هل
كان يعلم أن طريقك هذا طويل؟
فقال: ولكنني لا أجيد الكتابة يا صاحبي!
فسألت: كذبت علينا إذًا؟
فأجاب: على الحلم أن يرشد الحالمين
كما الوحي
ثم تنهد: خذ بيدي أيها المستحيل!
وغاب كما تتمنى الأساطير
لم ينتصرْ ليموت، ولم ينكسرْ ليعيش
فخذْ بيدينا معًا، أيها المستحيل !

محمود درويش

* القصيدة من ديوان «كزهر اللوز أو أبعد» الصادر سنة 2005 عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

ألكسندرا ماتشيفتش–موسيمان*

سجين سياسي سابق وموظف اتصالات حالي

كامارا: حصلت على فرصة ثانية للحياة**

يعمل كامارا في قسم التلغراف باللجنة الدولية للصليب الأحمر في نيجيريا منذ أكثر من 20 عامًا، وهو سجين سابق قضى عشر سنوات في انتظار تنفيذ حكم الإعدام في بلد آخر في أفريقيا بعد مشاركته في محاولة انقلاب تم إحباطها في ثمانينيات القرن الماضي. لكن الرجل النحيل يعتبر أنه مدين للصليب الأحمر بالكثير، وربما بحياته.

AFP

يقترب كامارا من نهاية عقده الخامس، وهو عذب اللسان يحظى بحب واحترام جميع زملائه في العمل. تحمس لسرد قصته** ملخصًا معاناته والآمال التي زرعتها اللجنة الدولية في طريقه، وفي طريق غيره ممن استفادوا من خدماتها على امتداد القارة الأفريقية، التي عانت في العقود الماضية من مآس فرضتها أزمات حالات الصراع المسلح، والقلاقل التي تركت آثارها على مئات الألوف.

■ كم قضيت وأنت قيد الاحتجاز وكيف بدأ الأمر برمته؟

تم سجني قبل 30 عامًا انتظارًا لتنفيذ حكم الإعدام، بعد تورطي مع آخرين في انقلاب شعبي في بلدي. كانت لدينا رغبة في وضع حد لنهب الأموال العامة، وبناء نظام اشتراكي قائم على المساواة، وتغيير المعتقدات السائدة بأن سلطة حكامنا غير قابلة للنقاش. وبعد الإدانة وصدور الحكم بالإعدام، تم تخفيفه في الاستئناف إلى السجن مدى الحياة، ثم تم إطلاق سراحي بعد 10 سنوات بموجب عفو رئاسي.

■ كيف كانت تجربتك في السجن؟

واجهت مع زملائي ظروفًا مروعة، وتلقينا معاملة غير إنسانية كحرماننا من الهواء النقي، وقضاء أيام كاملة في الحبس الانفرادي مقيدين بالسلاسل في أغلب الوقت. كما كنا نعاني من سوء التغذية بسبب رداءة الطعام، والذي نتج عنه إصابتنا بأمراض منها: مرض نقص فيتامين B1 أو **البري بري** الذي يتسبب في فقدان الوزن، واضطرابات نفسية، وتلف في وظائف الأعصاب الحسيّة، وآلام في الأطراف وعدم انتظام ضربات القلب، ومن أعراضه انتفاخ أعضاء الجسم نتيجة لتجمع السوائل فيها، وهو ما أودى بحياة كثير من السجناء، أو أدى إلى تدهور صحتهم. كما اضطررنا للنوم على قطع الأخشاب بسبب عدم توافر الأغطية والمفروشات. وقد عانيت شخصيًا من السجن الانفرادي المخصص للمحكوم عليهم ●●●

* Aleksandra Matijevic Mosimann منسقة الاتصالات – بعثة اللجنة الدولية في أبوجا

** نشرت قصة كامارا باللغة الفرنسية في عدد خاص من مجلة الإنساني MAG Humanitaire عن بعثة اللجنة الدولية في دكار – السنغال، بمناسبة مرور 150 سنة على انطلاق الصليب الأحمر.

بالإعدام، والمستخدم أيضًا لعقاب السجناء المخالفين لقواعد السجن، ومنها حيازة السجين لأي أدوات كتابة. وقد تم احتجازي بها في إحدى المرات بعد اتهامي بتدخين سيجارة، مما دفعني للإضراب عن الطعام والشراب لمدة أربعة أيام لإثبات براءتي، وهو الأمر الذي دفع المسؤولين لإخراجي منها. والزنزانة الانفرادية ضيقة للغاية، تجبر السجين على الوقوف طيلة اليوم، مما يؤدي إلى تورم قدميه. وغالبًا ما يتم ترك السجين في تلك الزنزانة بلا رعاية حتى الموت، عدا تقديم وجبة واحدة محدودة الكمية من الأرز الأبيض دون إضافة صلصة أو حساء. إلا أن هذه الزنزانة تم هدمها في نهاية المطاف بعد قدوم مندوبي **اللجنة الدولية للصليب الأحمر** لزيارة السجن، ومخاطبتهم للسلطات حول ظروف معيشة السجناء، وإصرارهم على تدمير مبنى الزنازين المخصصة للسجناء السياسيين، الذي لم يكن يصلح للآدميين.

■ هل من خدمات أخرى أداها المندوبون لصالح السجناء؟

لقد جلب المندوبون معهم بصيصًا من الأمل، عندما طالبوا السلطات بحق السجناء في ظروف معيشية لائقة. وكانت زياراتهم تهدف لضمان معاملة المحتجزين بالحد الأدنى من الاحترام، ويعني هذا توفير الطعام الجيد، والإمدادات الطبية، والأغطية، والصحف. كما تم توفير بعض الأدوات لممارسة الكرة الطائرة، وتنس الطاولة، مما شكل لنا فسحة من السجن بممارسة بعض الأنشطة البدنية.

كما كان يسمح لفريق اللجنة الدولية أيضًا بالتحدث معنا منفردين، مع بقاء مسؤولي أمن السجون على مسافة لا تسمح لهم بسماعنا، مما منحنا الثقة للحديث عما نواجهه ونعيشه. فضلًا عن تفهم اللجنة الدولية لقلق البعض منا على أحبائهم الذين أصبحوا بلا عائل، وهو ما دفع اللجنة الدولية لمساعدة عائلات المحتجزين لأسباب سياسية بتقديم المساعدات الغذائية كالأرز، وزيت الطهي، وغيرها.

■ وماذا حدث بعد إطلاق سراحك من السجن؟

عدت إلى منزل والدي حيث كانت تعيش زوجتي وابني أيضًا، ولكوني مطاردًا لم أستطع النوم في المنزل، وخاصة بعد مقتل كلبين من بين 6 كلاب في منزلنا بإطلاق الرصاص عليهما. وكان والدي يخشى أن تكون الرصاصات من نصيبي في المرة التالية. وكثيرًا ما تم توقيفي للاستجواب، دون معرفة السبب. واضطررت للرحيل بعد بضعة أشهر إلى نيجيريا حيث كان لي بعض الأصدقاء الذين قدموا لي المساعدة لبعض الوقت، وسرعان ما قطعوا صلتهم بي تدريجيًا. وشعرت بالوحدة، واستحكام الأزمة بعد أن تخلى الجميع عني. لاحقًا، توصلت إلى مكتب اللجنة الدولية **لاغوس**، فتوجهت إليه. ولحسن حظي، التقيت المندوب نفسه الذي زارني في سجن بلادي. رويت له ما حدث، وطلبت منه مساعدتي. ولمعرفتي بكيفية تشغيل أجهزة الاتصال، حصلت على الوظيفة في تموز/ يوليو 1992.

■ هل عدت إلى بلدك الأصلي منذ ذلك الحين؟

أبدًا. بعد كل ما مررت به لم أعد أشعر بالأمان، وقد تواصلت مع عائلتي منذ العام 1995 عن طريق أحد الأصدقاء، ونحن على اتصال منذ ذلك الحين، ولكنني لم أعد قط لرؤية ابني وأحفادي الثلاثة.

■ كيف تصف عملك وحياتك الآن؟

يتطلب العمل بقائي على اتصال دائم بالفرق الميدانية، لضمان أمنها في أثناء سفرها عبر نيجيريا، وخاصة في الأجزاء الشمالية الشرقية، وهو ما يتطلب أيضًا القيام بالاتصالات الدورية وتسجيلها مع المزيد من التفاصيل، ومنها: رقم السيارة، وأسماء السائق والركاب، ووقت ومكان التحرك، والمقصد، ووقت إجراء الاتصالات. وفي العام 2003، عندما أنهت البعثة عملها في **لاغوس**، انتقلت مع اللجنة الدولية إلى **أبوجا**.

وإلى جانب العمل، أعيش حياة هادئة، فقد تزوجت مرة أخرى، ولدي ثلاثة أطفال. باختصار، لقد قدمت لي اللجنة الدولية فرصة ثانية للحياة ■

ICRC

محمد علام فرغلي*

لم تنفصل اللجنة الدولية للصليب الأحمر منذ بداية التسعينيات عن ركب التكنولوجيا والتطور الذي صاحب انتشار الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وازدهارها في العالم أجمع، وحرصت على أن يكون لها مكان بعدة لغات على مواقع التواصل الاجتماعي – ومنها: فيسبوك، ويوتيوب، وتويتر، وغوغل بلس، وفليكر، وسكريبد– مما يسمح بالتواصل والوصول لعدد كبير من المهتمين والمتابعين، ونشر أخبار اللجنة الدولية أو تصحيح ما قد يتم تداوله من معلومات مغلوطة أو شائعات، وذلك عبر متابعة الأخبار والتقارير المصورة والمتنوعة حول الأنشطة المختلفة.

تصورات مغلوطة تجتاح العالم الافتراضي

يتضمن عملنا بالمركز الإقليمي للإعلام بمقر اللجنة الدولية **بالقاهرة**، المتابعة اليومية للتعليقات والمحادثات المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي حول اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والتي تعكس آراء شريحة كبيرة من المتابعين الناطقين بالعربية بمنطقة الشرق الأوسط. ومن خلال تلك المتابعة لاحظنا أن صفحة اللجنة الدولية على **فيسبوك** تعد ملتقى للعديد من الشباب المهتم أو الراغب في التطوع في مجال العمل الإنساني، أو من سبق له التطوع بالفعل في أنشطة إنسانية لخدمة الآخرين، حيث تدور غالبية التعليقات حول أهمية دور العمل الإنساني في تنمية المجتمعات، وتخفيف العبء عن كاهل المحتاجين للعون.

وفي الوقت نفسه، تتلقى الصفحات نفسها أسئلة مكررة تتعلق ببعض الاتهامات التي يحاول البعض عن جهل، أو عن عمد إلصاقها باللجنة الدولية وأنشطتها، والتي قد نتجت عن تداول معلومات مغلوطة لفترة زمنية طويلة. واللافت للنظر، أن الصفحات التفاعلية نفسها تشهد قيام عدد من المتابعين - من غير العاملين في اللجنة الدولية– بتصحيح تلك المقولات المغلوطة، بما يخلق مساحة إيجابية للنقاش، كما يساهم في تسهيل مهمة القائمين على متابعة تلك الصفحات من جانب اللجنة الدولية لصد الافتراءات الكاذبة التي تتهم اللجنة الدولية بكونها:

– منظمة تبشيرية
– هيئة غربية تتجسس لصالح أمريكا
– تتجاهل ما يحدث للمسلمين
– ترفع شعار الصليب
– تستغل حاجة الفقراء لجمع المال

وغيرها من التصورات المغلوطة، والقوالب النمطية التي تجعل من موظفي اللجنة الدولية، «جواسيس، صليبيين، غربيين يستغلون حالة ضعف المسلمين وعوزهم». وتعد التعليقات الواردة من مناطق الأزمات في منطقة الشرق الأوسط هي الأكثر سلبية تجاه اللجنة الدولية، فضلًا عن التعليقات التي يتبناها بعض شباب من الجماعات المتشددة.

وبصفة عامة، تنقسم الاتهامات والشائعات من حيث الطابع الزمني إلى ●●●

* محلل إعلام اجتماعي بالمركز الإقليمي للإعلام بمقر بعثة اللجنة الدولية، القاهرة

فئتين، الأولى تتعلق بالاتهام الوقتي اللحظي أو الخاص بفترة زمنية محددة، يظهر فيها الاتهام في سياق معين ثم يختفي، تاركًا خلفه في الغالب انطباعًا سيئًا عن سمعة اللجنة الدولية وموظفيها، وربما يمتد الأثر إلى المنظمات الدولية العاملة في مجال الإغاثة الإنسانية ككل، مما قد يؤثر مستقبلًا على سلامة العاملين في هذا المجال، وتعرضهم لمخاطر نتيجة لأقوال خرجت دون تمحيص وتدقيق. أما الفئة الثانية، فهي تلك النوعية من التصورات المغلوطة، التي يعاد نشرها من وقت لآخر على مر الشهور، وربما السنوات دون أن يكون هناك مصدر موثق واحد لما تم نشره. وهنا نعرض بعض الأمثلة للفئتين:

الأحكام المسبقة دون دليل

يذهب النصيب الأكبر للاتهامات، والشائعات المتداولة على مواقع التواصل الاجتماعي لربط مهمة اللجنة الدولية بالديانات المختلفة كالمسيحية واليهودية، وإطلاق شائعات من قبيل «أنها منظمة تبشيرية تعمل ضد الإسلام والمسلمين»، وهو ما نجده واضحًا في تعليقات كالتالي:

– «شكرًا جزيلًا للصليب الأحمر اليهودي على سرعته ومبادرته بالعلاج اللازم للمصابين والجرحى من مسلمين دماج حوثة ومطاوعه».

– أو «الصليب الأحمر المسيحي ينادي في دماج: اتقوا الله خلونا نسعف المصابين؟».

– أو «الهلال الأحمر في الدول الإسلامية تتبع أوامر مسؤوليها وغيرها، أما ما يسمى الصليب الأحمر فهدفها التبشير».

وكلها تعليقات تخلط عددًا من الأمور دون تريث أو تحقيق، حيث إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، شأنها شأن كل مكونات الحركة الدولية للصليب الأحمر، والهلال الأحمر، إنما هي منظمة إنسانية محايدة ومستقلة، تعمل في البلدان المتضررة من النزاعات المسلحة والعنف، وتسعى جاهدة للتخفيف من معاناة السكان بغض النظر عن جنسيتهم، أو معتقداتهم الدينية، أو هوياتهم العرقية، أو آرائهم السياسية. ويشهد بذلك ما تقوم به اللجنة منذ عقود من أعمال إنسانية في مختلف دول العالم، والتي يقطنها أفراد يعتنقون مختلف الديانات ولهم توجهات سياسية متعارضة في بعض الأحيان، ويقوم على خدمتهم آلاف من الموظفين الذين ينتمون لكل الجنسيات والمعتقدات، ويمكن متابعة أنشطتهم بالتفصيل على صفحات اللجنة الدولية على شبكات التواصل الاجتماعي، وموقع اللجنة الدولية الإلكتروني:

www.icrc.org/ara
www.facebook.com/ICRCarabic
www.twitter.com/ICRC_ara

كثير من التعليقات تخلط بين أمور عدة مستندة لشائعات

ICRC

نظرية المؤامرة

إحدى التهم سابقة الإعداد التي تواجه موظفي اللجنة الدولية في منطقة الشرق الأوسط وفي البلدان العربية، الوصم بالجاسوسية وجمع المعلومات من أجل أجهزة الاستخبارات الغربية، وهو ما تقوله التعليقات:

أحدهم يكتب: «حقيقة الصليب الأحمر في سوريا صليب نصراني استخباراتي تجسُّسي».

وآخر يقول: «للفائدة الصليب الأحمر .. صليب استخباراتي لجمع المعلومات عن الأسرى وتبادلها بين الدول.. احذروهم يا أهل المعتقلين».

وهو ما يتم توضيحه والرد عليه بأن طبيعة العمل الإنساني تقتضي الحصول والاحتفاظ ببيانات المستفيدين من المساعدات الإنسانية لتسهيل العمل وضمان وصول المساعدات لمن يستحق، خاصة في حالة المساعدات الدورية. بالإضافة للمعلومات الأخرى التي تقوم بجمعها اللجنة الدولية في مختلف سياقات عملها كتفقد أماكن الاحتجاز، والبحث عن المفقودين، وإعادة الروابط العائلية.

يقول السيد **دومينيك شتيلهارت** نائب مدير العمليات في اللجنة الدولية أن السرية تعتبر حجر زاوية في عملنا وأداة أساسية تساعد اللجنة الدولية على مساعدة الأشخاص

اللجنة الدولية منظمة إنسانية محايدة ومستقلة

المتضررين من انعدام الأمن، والعنف والنزاع المسلح. وتمكنها من بناء الثقة وإقامة التواصل وإحداث تغييرات. ويضيف أن اللجنة الدولية قد عملت على تطوير ممارسة السرية منذ فترة طويلة، وبالتالي لا يمكن للدول الطلب من اللجنة الدولية أن تدلي بشهادة أو تمثل كشاهد أمام محاكمها الوطنية كما حدث مع المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة، والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا، والمحكمة الخاصة بسيراليون، حيث تنص قواعد الإجراءات والإثبات للمحكمة الجنائية الدولية على أن «اللجنة الدولية لها الكلمة الأخيرة في الإدلاء بمعلوماتها». ولم تحظَ أية منظمات أخرى بهذا الامتياز.

لقراءة الحوار كاملا مع **شتيلهارت:** http://www.icrc.org/ara/resources/documents/interview/confidentiality-interview-010608.htm

حساسية اسم ورمز «الصليب»

لا يكف البعض عن اتهام اللجنة الدولية بكونها منظمة صليبية تبشيرية، وقد نشر أحدهم قبل فترة على تويتر صورة لتحذير تمت كتابته على الجدار الخارجي لمدرسة في **بني غازي في** ليبيا، جاء فيه: احذروا الصليب الأحمر، إنه يدعو إلى التنصير!

وهو ما يتم الرد عليه بأن اختيار **الصليب الأحمر** شارة رسمية مميزة جاء بعد تأسيس المنظمة في مدينة جنيف السويسرية في العام 1863. وكنوع من التكريم **لهنري دونان** المؤسس السويسري الجنسية، تم اختيار رمز الصليب الأحمر على خلفية بيضاء الذي يعد مقلوبًا لألوان العلم السويسري، المشهور بحياديته في جميع

شعار اللجنة الدولية هو مقلوب العلم السويسري

أنحاء العالم، وذلك دون أن يكون للشارة المختارة مدلول ديني.

أخبار عارية من الصحة

ومن حين لآخر تنتشر على الشبكة أخبار عارية من الصحة، لاتهام اللجنة الدولية بما لم تقم به، حيث يتهم أحد الناشطين السوريين أن اللجنة الدولية شاركت في مفاوضات أدت إلى إلقاء القبض على البعض.

وكانت اللجنة الدولية قد تولت قبل فترة الرد على هذه الشائعات المغرضة التي لا أساس لها من الصحة عبر قناة التواصل نفسها (**تويتر**)، حيث نشرت على حساب اللجنة الدولية الرسمي تغريدة أكدت فيها عدم ضلوعها في أية مفاوضات للسماح للمدنيين بالخروج من أي مناطق محاصرة. https://twitter.com/ICRC_ar/status/390491150790180864

خرافات وحكايات

أيضًا، وفي صورة شبه دورية، يتداول البعض من حين لآخر على شبكات التواصل والمنتديات العربية قائمة بأسماء أبرز المشاهير الماسونيين، على حد وصفهم، والتي من المفترض أن تكون سرية، ولكن تم تسريبها بصورة أو بأخرى، وتضم أسماء لشخصيات مشهورة من مختلف أنحاء العالم، من بينها **هنري دونان**، فضلًا عن اسمي مطربتين لبنانيتين معاصرتين، وهو ما يصعب تصديقه أو حتى الحصول على ما يؤكده. وللاستزادة عن هنري دونان، وكيفية تأسيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://www.icrc.org/ara/who-we-are/history/index.jsp

في كثير من الأحيان يصعب الرد على اتهامات غريبة

محمود الغيطاني*

القوالب والصور النمطية في السينما المصرية:

صورة المتدين كمثال لتحيز صناع السينما

في وقت قد يعاني فيه العاملون في اللجنة الدولية للصليب الأحمر من صورة نمطية يسري التنميط في المنطقة العربية على العديد من فئات المجتمع، بل لقد أصبح «استسهال» إلصاق الصور النمطية ببعض الفئات سمة غالبة في الإعلام والسينما بصورة يصعب تغييرها.

إذا حاولنا النظر في تاريخ السينما المصرية، باعتبارها الأشهر والأقدم والأكثر إنتاجًا في العالم العربي، وتتبع ما يتم إنتاجه من أفلام، لوجدنا أن جل هذه السينما يعتمد على صور نمطية وقوالب جامدة لا تتغير للعديد من الشخصيات، والمواقف، والمشكلات، فمن الصورة النمطية للمتدين، إلى الصورة النمطية للمرأة ومشاكلها، إلى صورة الجنوبي– السوداني، أو النوبي–، إلى صورة المسيحي، وصورة الفتاة غير المحجبة والنظرة النمطية للمجتمع تجاهها، وصورة الدرويش أو الصوفي، وصورة رجل الشرطة، وغيرها من الصور النمطية التي اتخذت منها السينما المصرية نموذجًا ونسخًا مكررة في كل أفلامها، وكأن البشر جميعًا نتاج ماكينة صور واحدة متماثلة، متجاهلة في ذلك الفروق الاجتماعية، والنفسية، والثقافية التي تصنع من البشر نماذج فريدة مختلفة، وغير قابلة للتكرار.

نحتاج لعقود من العمل الدؤوب لتجاوز الكراهية التي صنعها التبسيط المخل في الفن

المتدين نموذجًا

عندما نتأمل بموضوعية، على سبيل المثال، صورة المتدين في السينما المصرية، لن نستطع إنكار ظلم صناع السينما المصرية، والعداء الشديد تجاه أصحاب ذلك التيار، بإصرارها على تقديم المتدين بصورة منفرة، وكأن السينما المصرية في هذه النظرة غير الحيادية الظالمة لكل من هو متدين تكاد تكون مصدر تأليب ومحرضًا حقيقيًّا ضد كل من يحاول أن يسلك في حياته مسلكًا متدينًا. ويتضح ذلك من خلال الشخصيات النمطية التي تم تقديمها على طول تاريخ السينما المصرية لا سيما بعد تموز/ يوليو 1952، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: شيخ القرية في **الزوجة الثانية** (1967)، والأزهري وإمام المسجد في **الأرض** (1970)، والطالب المتدين في **خلي بالك من زوزو** (1972)، والحاج في **البدرون** (1987)، وصاحب شركة توظيف الأموال في **امرأة واحدة لا تكفي** (1990)، **دم الغزال** (2005)، والأمير في **حين ميسرة** (2007)، وغيرها الكثير.

بصفة عامة، تم قولبة المتدين في السينما المصرية كشخصية «فظة، متعالية، حقودة، مثيرة للاشمئزاز، وخاصة في مشاهد التهامها النهم للطعام». وغالبًا، ما يتسم الشخص المتدين في

* ناقد وكاتب مصري

السينما المصرية بصوت عال جهوري وكأنه في شجار دائم بلا مبرر، ولا صوت ولا رأي يعلو فوق ما يقوله؛ لامتلاكه الحقيقة الكاملة من وجهة نظره، أو بالأحرى من وجهة نظر صُناع السينما. كما تظهره الأفلام ساعيًا دومًا للعمل أو الحديث في السياسة، حتى ولو كان جاهلًا بها. كما تظهره الأعمال السينمائية كشخص مزواج يبحث دومًا عن أنثى ما، متخذًا من الزواج ستارًا لنزواته.

وإجمالًا، اتسمت هيئة المتدين السينمائية بتنميط ظاهري واضح فهو كث الحواجب، مقطب الجبين دومًا، نادر الابتسام، نراه أحيانًا شخصية مدعية منافقة متزلفة، لزجة ثعبانية، وهي غالبًا تتخذ التجارة وسيلة للنصب عبر شركات توظيف الأموال مثلًا، وهي الصورة التي تم تمريرها وتكرارها في إطار ما يُعتقد أنه حملة رسمية للقضاء على سمعة رجال الأعمال الملتحين؛ تخوفًا من تضخم ثرواتهم أمام اقتصاد الدولة.

REUTERS

المتدين القالب

إذا تأملنا مثلًا فيلم **كشف المستور** (1994) للمخرج الراحل **عاطف الطيب**، سنجد فتاة الهوى المتقاعدة **عايدة عبد العزيز**، ولجوءها إلى التدين الظاهري بالتجهم والتشدد المظهري؛ لتتجمع النساء من حولها لتلقي الدروس الدينية التي تستخدمها لغسل عقولهن من خلال منطقها الفاسد، في حين أنها في حقيقة الأمر مجرد عميلة لجهات أجنبية. ولعلنا لا نستطيع توجيه اللوم الحاد لـ **عاطف الطيب** كمخرج في تقديمه لهذه الصورة النمطية، لا سيما أنها كما قدمها قد اتجهت من النقيض للنقيض من دون أي مبرر؛ سوى أنها اعتادت أن تفعل ما يريده من يدفع أكثر، لكننا أيضًا لا نستطيع قبول مثل هذه الصورة دومًا، مع التماس الأعذار لصانعيها مثلما فعل ثلاثي السيناريست **وحيد حامد** والمخرج **شريف عرفة** والممثل المخضرم **عادل إمام** في جل أفلامهم المشتركة؛ حيث المتدين القالب الذي رسخ له بعض صناع السينما في عمق العقل الجمعي. ونتذكر شخصية الموظف المتدين في فيلمهم **الإرهاب والكباب** (1992)، التي أداها بتمكن الممثل **أحمد عقل**، حريصًا على استخدام مفردات القالب من تكشيرة غاضبة، وجبين مقطب، وعصبية منفرة، وجوع لكل امرأة حتى أنه يحاول أن يستولي عليها وتملكها مغلفًا كلامه بالدين والدعوة، متهربًا بدعوى العبادة، ومتكاسلًا عن أداء مصالح المواطنين. ولا يمكن إنكار تواجد ملامح متواترة من هذه الشخصية المقولبة في الحياة الواقعية، ولكن حينما يصر صناع السينما على تقديم هذه الشخصية في مثل هذا النمط المكرر دائمًا، علينا أن نتساءل عن السبب، وأن نستهجن أيضًا هذا التبسيط المخل؛ لأننا نكشف حالة قولبة و«أدلجة»، ومن ثم نكون قد ابتعدنا عن هدفنا الأول والحقيقي، وهو الفن، في محاولة تكريس للأيديولوجيا أو الأفكار التي يعتنقها صناع السينما. يتكرر الأمر نفسه بصورة واضحة مع فريق العمل نفسه في **طيور الظلام** (1995)، الذي قدم نمط المحامي المتدين –أداه الممثل **رياض الخولي**–، الذي يعتمد البراجماتية منهجًا سعيًا وراء مصالحه ومصالح جماعته، ويكاد أن يكون نصابًا بقدرته على التخلي عن ضميره، وتغيير قناعاته وكأنه يستبدل ثيابه أمام من يدفع أكثر، فنراه يدافع عن الجماعات المتشددة، من باب «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»، في الوقت ذاته يدافع عن فتاة ليل لأن هناك ثمة مصالح تترتب على الدفاع عنها.

قليل من الواقعية

من جهة أخرى، تكررت القوالب سابقة التجهيز ذاتها في أفلام منها: **الإرهابي** (1994) للمخرج **نادر جلال**، و**عمارة يعقوبيان** (2006) للمخرج **مروان حامد**، دون محاولة النظر إلى الضفة الأخرى من النهر، التي قد يكون فيها– كما هو في الواقع– صورة أخرى للمتدين، الذي يعمل مخلصًا من أجل قناعات وقيم، على استعداد للذود عنها.

إن تقديم المتدين بهذه الصورة في السينما المصرية يجعلنا نظن أن الدين إنما يضع الناس في قالب واحد متشابه؛ ومن ثم يكونون مجرد صور متناظرة، وتكرارًا عدديًا لا ينتهي، وهذا مناف تمامًا للحقيقة والمنطق؛ لأننا نعيش داخل منظومة اجتماعية نتقاطع فيها يوميًا مع العشرات والمئات من المتدينين، حيث يكشف الواقع مبالغات تلك القوالب، التي تتناقض وما نراه من متدينين معتدلين شكلًا ومضمونًا في تبسمهم وغضبهم وسلوكهم وفهمهم للأمور.

وهكذا، يمكن القول إن هذه الصورة التنميطية التي انتهجتها السينما المصرية تجاه المتدين– كنموذج–، إنما تدل على إصرار صناعها على اللجوء للقوالب الجاهزة والسهلة التي تبتعد عن الفن الحقيقي، من دون محاولة التأمل والبحث الجاد عن نماذج أخرى ومختلفة للشخصيات نفسها، حتى تنطلق السينما إلى آفاق فنية أكثر رحابة تحترم عقلية المشاهد. وربما استطعنا حينها التوقف بمهنية أمام ما تقدمه السينما العالمية من صور نمطية للعربي، أو المسلم، الذي نراه في صورة نمطية مقولبة أيضًا فهو إما قاتل بارد أو إرهابي متجهم هدفه تدمير الحضارة الإنسانية لا غير.

ويبدو أن السينما لن تتخلص قريبًا من قوالبها، إذا لم يعد صُنَاعها عربيًا وعالميًا النظر إلى النتائج الكارثية لما يقدمونه من صور نمطية تساهم في تعميق الكراهية التي ستحتاج البشرية لعقود حتى يتم اجتثاث حشائشها الضارة من حديقة التسامح والتفاهم مع الآخر ■

قصة فوزية:
مأساة خريف العمر

لم تتوقع فوزية البالغة من العمر 73 عامًا أن تعاني الأمرين، ولا أن تعيش شظف الحياة في خريف عمرها بعد تعرض بلادها لمآسي النزاعات المسلحة، التي تطيح بماضي الإنسان، وحاضره، وخططه المستقبلية. إن فوزية نموذج من بين مئات الآلاف من السوريين، الذين انقلبت حياتهم رأسًا على عقب منذ أن اشتدت وطأة النزاع في بلدهم.

ريما كمال*

فوزية، حسب ما روته لي، كانت تعيش منذ أكثر من 15 عامًا في منزل جميل في مخيم **اليرموك** في **دمشق** مع ابنها **منذر** وزوجته وأولاده الأربعة. كانت تعيش على راتب تقاعد زوجها المتوفى وما يحصِّله ابنها **أحمد** من قيادة سيارة أجرة.

عندما بدأت الاضطرابات في **سورية** في العام 2011، وتحولت تدريجيًا إلى نزاع مسلح تدهورت الأوضاع واشتد القتال في عدة مناطق في **دمشق**، حينها طلبت فوزية من ابنها **منذر** التخلي عن عمله كسائق أجرة خوفًا على حياته. وبانقطاع **منذر** عن العمل انقطع دخل البيت الأساسي، وبات أفراد العائلة السبعة يعتمدون اعتمادًا كليًا على راتب التقاعد الذي لا يتجاوز 60 دولارًا شهريًا.

على الرغم من بؤس الوضع –آنذاك– والأزمة المالية الخانقة، إلا أن **فوزية** لم تدرك ساعتها أن الفاجعة الكبرى لم تكشف عن وجهها بعد، وأن حياتها ما زالت ممكنة بالنسبة لما ستؤول إليه مع استمرار تدهور الأوضاع.

الأبناء الأربعة

تستكمل **فوزية** حكايتها قائلة: «**لي أربعة أولاد من بينهم منذر الذي يعيش معي منذ البداية. بينما يقطن الأبناء الثلاثة في شقق جميلة في منطقة الحجر الأسود في دمشق مع زوجاتهم وأولادهم. ولكن مع تدهور الأوضاع في منطقتهم وتعرضهم للخطر، انتقلوا جميعًا إلى منزل اليرموك، ليضم بين ليلة وضحاها 30 شخصًا منهم أبنائي الأربعة، وزوجاتهم و21 حفيدًا**».

ليقيم كل ابن مع أسرته في غرفة من غرف البيت الأربع، وتقوم الأم بالتنقل ما بين الغرف يوميًا، وتستطرد قائلة: «**لا أستطيع وصف تعاستنا في تلك الفترة. الاحتياج المادي، وضيق المكان، وتوتر الأوضاع في المخيم التي كانت تزداد اضطرابًا، تسببت في اشتعال الموقف، وبتنا نتشاجر لأتفه الأسباب، بينما كان صراخ الأطفال يملأ المنزل ليل نهار. وعلى الرغم من الجحيم الذي كنا نعيش فيه كنت أجهل بأن ما ينتظرنا هو الأسوأ**».

الهروب من المخيم

في شهر كانون أول/ ديسمبر 2012 تحول مخيم **اليرموك** إلى ساحة معركة تشتد يومًا بعد يوم، مهددةً حياة جميع سكانه. في بادئ الأمر، امتنعت **فوزية** وعائلتها عن الخروج من المنزل حيث تنهال خارجه طلقات الرصاص وقذائف الهاون. كانوا يظنون أنهم أكثر أمانًا هكذا حتى اخترقت قذيفة جدار منزلهم، وأسقطت أخرى شرفتهم.

تصف **فوزية** الموقف حينها قائلة: «**انفجر الصغار في البكاء، وأخذ الكبار في الصراخ. تجمعنا في وسط المنزل وقررنا مغادرته قبل أن تأتي ضربة أخرى قاضية. خرجنا من البيت في هلع ما بين حفاة وشبه عراة دون مقتنيات شخصية. أخذنا نركض كبارًا وصغارًا نحتمي من رصاص القناصة بجدران المنازل تارة، ونغامر بحياتنا تارة أخرى مع زوجة ابني المسكينة، التي كانت قد وضعت مولودًا جديدًا في اليوم السابق. لم نكن بمفردنا، وكان هناك عشرات الأسر تركض بصحبتنا**».

النزوح المر

بعد ساعات من الهلع والخوف نجحت **فوزية** وعائلتها في عبور أسوار المخيم والسير ساعتين على أقدامهم للوصول إلى منطقة أكثر أمانًا في **دمشق** تدعى **القاعة**، وهي منطقة بها أعداد من النازحين. عند وصولهم، توجهوا إلى المسجد، الذي افترشوا أرضه مع عدد كبير من الأسر الأخرى. وبعد بضعة أيام تم نقلهم إلى مدرسة قريبة تم تجهيزها كمأوى، كما تم التبرع لهم ببعض الملابس من الجمعيات الخيرية. بعد بضعة أشهر من السكن في المدرسة استأجر ثلاثة من أبناء **فوزية** مع زوجاتهم وأولادهم شقة متواضعة ذات 3 غرف في ضواحي **دمشق**؛ ولدفع إيجارها الشهري اتجهوا للعمل كباعة متجولين مقابل ليرات معدودة، متحملين في سبيلها شمس الصيف وبرد الشتاء. أما **فوزية** فقد قررت البقاء في المدرسة مع ابنها **منذر** وزوجته وأولاده، وبدأت في التسول ومد يدها إلى الناس طالبة العون في خريف عمرها ■

ICRC

* الناطقة الإعلامية السابقة في بعثة اللجنة الدولية في دمشق

ICRC

الصليب الأحمر جواز سفري

منذ عام 1967 تقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر كوسيط محايد بأنشطة عدة لمساعدة سكان هضبة الجولان المحتلة كنقل ثمار التفاح من الجولان لبيعها في سورية، وتيسير عبور المشايخ الدروز، والعرائس اللاتي يعبرن الحدود للعيش مع أزواجهن ، كما تقوم بتيسير عبور الطلاب الذين يودون استكمال دراسة مرحلة ما بعد الثانوية في الجامعات السورية. فراس واحدٌ من هؤلاء الطلاب.

فطوم أبو غوش*

«**اللجنة** الدولية للصليب الأحمر هي جواز سفري. وأستطيع التنقل بين سورية والجولان بفضل جهود موظفيها وما يقومون به من تنسيق». بهذه الكلمات وصف **فراس الحرفاني** البالغ من العمر 24 عامًا الجهود التي تبذلها اللجنة الدولية من أجل تيسير تنقل الطلاب بين **الجولان المحتل** و**سورية**.

على مدار الأعوام الستة الماضية، عَبَر **فراس** من **الجولان المحتل** إلى **سورية** برفقة 300 طالب آخر للدراسة في الجامعات السورية. وبالرغم من الوضع الأمني غير المستقر، قرر **فراس**، ونحو 32 طالبًا العودة إلى سورية في آب/أغسطس ومواصلة دراستهم عقب انتهاء الإجازة الصيفية لعام 2012.

يقول **فراس**: «**بالرغم من خوف عائلتي الذي كان عائقًا في طريق عودتي إلى سورية، فإنني قررت العودة مهما كلف الأمر، وخاصة أن الدراسة بالجامعة كانت قد بدأت بالفعل**».

يعيش **فراس** بالقرب من مبنى الجامعة في **دمشق**، حيث يزداد الوضع خطورة يومًا بعد يوم في ظل الحرص على البقاء أحياء سالمين. يقول **فراس**: «**يوجد خوفٌ كبير، فنحن نخاف على حياتنا، لا سيما عند وقوع انفجار في مكان ما، ومع ذلك دائمًا ما يكون العاملون بالهلال الأحمر العربي السوري أول من يلبي نداء الاستغاثة في مكان الانفجار، غير أنه في بعض الأحيان يبدو الانفجار الأول كمصيدة يتبعه تفجيرٌ آخر، مما قد يؤدي إلى إصابة بعض المسعفين من الهلال الأحمر**».

يدرس **فراس** بالسنة الخامسة بكلية الطب، ومن ثم يتعين عليه الإقامة في داخل أحد المستشفيات المحلية أو العمل في خدمة الإسعاف. وقد التحق **فراس** وزملاؤه بأحد المستشفيات المحلية حيث يتابعون سقوط الضحايا في صفوف المدنيين ويعملون على إسعافهم قدر استطاعتهم. ويصف **فراس** الوضع الصعب والخطير في **دمشق** حيث لا تستطيع بعض سيارات الإسعاف في بعض الأحيان الوصول إلى الضحايا بسبب الاشتباكات المستمرة، موضحًا أن الاحتياجات ضخمة، ونقص جميع المواد قاس على الجميع، مما دفعه أن يطلب من أصدقائه من **الجولان** الذين غادروا **دمشق** التبرع بممتلكاتهم قبل المغادرة، من قبيل الملابس المستعملة، ومستلزمات المنازل البسيطة.

في ظل احتلال إسرائيل لهضبة الجولان منذ حرب الأيام الستة في حزيران/ يونيو 1967، يعاني سكانها العرب من مشاكل عدة من جراء العيش تحت الاحتلال. وينحدر السكان المقيمون في الهضبة من سورية، ويبلغ عددهم نحو 22 ألف نسمة، بالإضافة إلى نحو 19000 إسرائيلي يعيشون في حوالي 33 مستوطنة.

وعندما قرر **فراس** الالتحاق بتدريب في **الهلال الأحمر العربي السوري** للعمل كمتطوع في ظل هذا الوضع الصعب لمساعدة المحتاجين، وللاستفادة أيضًا من تجربة العمل الميداني، اكتشف أن جميع الدورات والبرامج التدريبية بالهلال الأحمر محجوزة مقدمًا بالكامل، وذلك لإدراك المواطنين مخاطر الوضع الراهن، وأهمية الإلمام بأساسيات الإسعافات الأولية.

يشيد **فراس** بالعمل الذي يقوم به **الهلال الأحمر العربي السوري**، معتبرًا أن التطوع والانخراط في خدماته بمثابة نيل شهادة تقدير واستحقاق، وذلك بسبب المخاطر التي يتعرض لها العاملون من أجل إنقاذ الأرواح.

ويختتم **فراس** كلامه قائلًا بأنه التقى على مدار الأعوام الستة الماضية بالكثير من مندوبي اللجنة الدولية الذين وصفهم بأنهم «**رائعون**». واستطرد **فراس** قائلًا: «**أنا أكبر الأبناء في عائلتي التي لا تملك ما يكفي لأدرس بالجامعة. وتتحمل الحكومة السورية تكاليف تعليمنا، غير أنه بدون مساعدة اللجنة الدولية للصليب الأحمر لا يمكننا العبور بأي حال. لقد ساعدتني اللجنة الدولية في تحقيق حلمي بأن أصبح طبيبًا، ولن أتخلى عنه**» ■

* مسؤولة الإعلام بمكتب اللجنة الدولية في القدس

ICRC

في سويسرا البلد السياحي الذي يجذب سنويًا الملايين من جميع أنحاء العالم للاستمتاع بطبيعته الخلابة، يستطيع هؤلاء اليوم السفر عبر الزمن، وبزيارة المتحف الدولي للصليب الأحمر والهلال الأحمر، الذي أُعيد افتتاحه في أيار/مايو من العام 2013 بعد عامين من إغلاقه لإجراء تحديثات وتعديلات تتعلق بفلسفته المتحفية.

عبر الإنترنت، «الإنساني» حاورت مدير المتحف روجيه مايو، الذي تولى مهام إدارته منذ العام 1998.

روجيه مايو: هدفنا نشر

■ **هل يمكن أن توضح لنا أهمية المتحف، ودوره، وأهدافه؟**

لقد شهدت **جنيف** ميلاد الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر عندما اجتمع الأب الروحي للحركة هنري دونان و4 آخرين من زملائه في17 شباط/ فبراير 1863، لدراسة اقتراحات ضمها كتابه **تذكار سولفرينو**. وفي آب/ أغسطس 1864 تم اعتماد اتفاقية **جنيف** الأولى التي نصت على الالتزام باحترام الجنود الجرحى، وحماية الأفراد الذين يقدمون لهم الرعاية والمعدات الطبية، وتوالت بعدها الأحداث. ومن الأهمية بمكان أن يجسد المتحف، الذي يقع في «17 **طريق السلام**»، بالقرب من المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الأحمر في **جنيف**، تاريخ الحركة وعملها سابقًا وفي الوقت الراهن، وقد أخذ المتحف على عاتقه في ثوبه الجديد أن يمنح للزائرين الفرصة لاستكشاف المزيد عن البعد الإنساني للحركة، ودورها في مساعدة الضحايا دون تمييز.

أما بالنسبة للعاملين بالصليب الأحمر والهلال الأحمر، فأرى أن المتحف يؤكد ويدعم فكرة الانتماء لأقدم وأكبر منظمة إنسانية عالمية.

ICRC

روجيه مايو

■ **استغرق تجديد المتحف عامين، قبل أن يتم افتتاحه في أيار/ مايو من العام الماضي، ما الأسباب وراء تجديده؟**

في تشرين الثاني/نوفمبر 1985، في ظل الحرب الباردة، وضعت **رايسا** قرينة الرئيس السوفيتي الأسبق **ميخائيل غورباتشوف**، و**نانسي** قرينة الرئيس الأمريكي الأسبق **رونالد ريغان** حجر أساس المتحف، الذي تم افتتاحه رسميًا للجمهور في أكتوبر 1988. وبعد مرور 25 عامًا على افتتاحه، وجدت الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر ضرورة أن يعكس المتحف التغيرات المتلاحقة التي طرأت على العالم، لا سيما المؤثرة منها في العمل الإنساني. وقد استغرقت عملية التجديد 22 شهرًا لإعادة النظر في فلسفة المعرض الدائم وتوسيع مساحته من 1400 متر مربع لتصل إلى ألفي متر مربع. كما تعاون المتحف في الوقت نفسه مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر على إنشاء مبنى جديد يضم صالة عرض جديدة مؤقتة تبلغ مساحتها 500 متر مربع. وقد حظيت خطة التجديد والتشغيل بدعم مدينة **جنيف**، ومانحين من القطاع الخاص، كما ساهم في التخطيط

ICRC

الوعي بالقضايا الإنسانية

المتحف يؤكد ويدعم فكرة الانتماء لأقدم وأكبر منظمة إنسانية عالمية

ثلاثة من المعماريين ذوي الخلفيات الثقافية المختلفة وهم: الياباني **شيجرو بان**، والبرازيلي **جرينجو كارديا**، والبوركيني **ديابيدو فرنسيس كيريه**.

■ **ما هو الفارق الجوهري بين المتحف قبل التجديد وبعده؟**

لم يعد المتحف الجديد يعتمد على التسلسل الزمني للأحداث، ولكنه يقدم مواضيع ذات صلة بالعمل الإنساني المعاصر برؤية تاريخية. كما يقدم اثنا عشر شخصًا شهادات حية مسجلة حول تجاربهم مع الحركة الدولية وهي تشكل الخط الرئيسي للمعرض. والزوار مدعوون للتفاعل معهم والاستماع لتجاربهم الشخصية المؤثرة، وأعتقد أن لكل زائر مشاعره الخاصة تجاه المشاهد المعروضة.

■ **الدفاع عن الكرامة الإنسانية، وإعادة الروابط العائلية، والصمود أمام المآسي، هي المواضيع الرئيسية التي يتناولها المتحف، لماذا اخترتموها، وكيف نفذتموها؟**

بخلاف الفترات التاريخية التي شهدت توترات، ومناطق النزاع في الوقت الراهن، نجد أن هذه القضايا الراهنة تشغلنا جميعًا، وبمفهوم أشمل سوف تؤثر على مستقبلنا المشترك لعقود قادمة.

ومع ثورة المعلومات، وتوافر الشبكة العنكبوتية، أصبح من السهل العثور على معلومات غزيرة عن تاريخ الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، ومن ثم فهدفنا الرئيسي في المتحف لم يكن تلخيص تاريخها، وإنما تقديم تجربة فريدة ومؤثرة للزوار.

■ **ما هي وسيلتكم لمد جسر من التواصل بين زائر المتحف والوضع الراهن للعمليات الميدانية للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر؟**

في الطابق الأرضي للمتحف، مساحة مسماة «**في الوقت الراهن**»، حيث سيجد الزائر مجسمًا مضيئًا للكرة الأرضية، تظهر على سطحه جميع مناطق عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر. ويمكن للزائرين، من خلال أجهزة الحاسوب الموجودة حول المجسّم، الحصول على معلومات عن أنشطة اللجنة الدولية الميدانية، ومعرفة المزيد عن عمل الجمعيات الوطنية التي تتألف منها الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

■ **كيف جرى تمثيل منطقة الشرق الأوسط في المتحف؟**

المواضيع التي تناولها المتحف لم تكن تمثل المناطق، وإنما تم اختيار قضايا إنسانية عامة. ومن ثم فلا يوجد تمثيل للشرق الأوسط أو أية منطقة أخرى بحد ذاتها. ومع ذلك، توجد بعض المواد المتحفية للعرض وكذلك ملصقات وصور وشهادات حية من الشرق الأوسط وغيره من الأماكن أيضًا.

■ **هل استقبل المتحف أيًّا من الأشخاص الذين ارتبطت مصائرهم بأدوار قامت بها اللجنة الدولية؟**

كانت زيارة **سامي الحاج**، الصحفي بقناة **الجزيرة**، الذي تم اعتقاله في **غوانتانامو** في الفترة من العام 2002 حتى 2008، مؤثرة للغاية. والحاج هو أحد الأشخاص الذين شاركوا في المتحف بالإدلاء بشهاداتهم، كما نعرض بين جنبات المتحف إحدى رسائل الصليب الأحمر الخاصة به، التي تبادلها مع أفراد أسرته في أثناء فترة احتجازه.

■ **ما هي أفضل اللحظات التي عشتها على مدار عملك مديرًا للمتحف؟**

رؤية الزوار وهم يصطفون لفترات وصلت إلى خمسين دقيقة من أجل زيارة المعرض في أثناء الافتتاح!

■ **ما الدور الذي سيؤديه المتحف في المستقبل؟**

أتمنى أن يكون المتحف مكانًا لنشر الوعي بالقضايا الإنسانية والمساعدة على فهم العالم. ومن جانبنا، وتحقيقًا لهذا الغرض، نقوم بتنظيم فعاليات ثقافية وأنشطة تعليمية مختلفة تتصل بالمعرض الدائم، ويتم الإعلان عنها على موقعنا على الشبكة العنكبوتية:
http://www.redcrossmuseum.ch/en

أ. ع.

ICRC

إن الإسلام دين السماحة والقوة، وهل في ذلك شك؟ شَارِعُه هو الرحمن ذو القوة المتين، ومُبلِّغه الصَّبار الصَّادق الأمين. وكتابه الذي تحدى كل لسان وأعجَزه ولسانه العربي الذي أخرس كل لسانٍ وأبان. وقواده الخالديّون هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر. نعم، إنه الإسلام، الدين الذي يفرض قوة الحكمة والرحمة والعدل، لا قوة السَّفه والقسوة والجور. وبتتبُّع تعاليمه وبالاطلاع على ما جاء من آثار علمائنا الأجلاّء ومنهم أبو الحسن الشيباني -وغيره كثير- نجد أن ديننا يسعى إلى إقامة الأبعاد الإنسانية حتى في سير المعارك والحروب وحماية ضحاياهم وصيانة حقوقهم. والأجمل مما سبق أن نجد تجليَّات هذه التعاليم على أرض الواقع من لَدُن رجال صَدَقوا اللّه ما عاهدوا عليه، يجتهدون أيَما اجتهاد في ترسيخ أبعاد وقيم الشريعة الإسلامية. وغير بعيدٍ عن هذا الوصف يتبادر إلى أذهاننا الأمير عبد القادر الجزائري، عالم الدين والشاعر الصوفي ومؤسس دولتنا الحديثة، ونحن اليوم في احتفال بذكرى عيد النصر -19 مارس- ويبقى السؤال:

من هو الأمير عبد القادر الجزائري؟

وما دوره في وضع أسس القانون الدولي الإنساني؟

يعتبر الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري المُنحَدِر من سلالة نبينا ورسولنا الكريم صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، أول من وضع اللّبنات الأساسية للنهوض بالدولة الجزائرية الحديثة، أوْكَلَه أبوه مهمة قيادة الشعب وهو كل ثقةٍ فيه. كان لهذا الشاب المولود بالقطنة في منطقة معسكر في 6 سبتمبر 1808 الموافق 15 رجب 1223، عدة أدوار في أكثر من مجال، حيث قاد المقاومة ضد المحتل في الغرب الجزائري لمدة 15 سنة من 1832 إلى 1845. وكان متيقنًا بأن وقف زحف جيش المستعمر لن يتم إلا بتأسيس جيش قوي. وضع له أساسياته في دليل وسماه «وشايش الكتايب»، كما وهبه تنظيمًا إداريًا عسكريًا مُحْكَمًا. وبهذا جمع بين الحياة الروحية وشعائر الدين وأسقطها على ميدان الفنون الحربية لتحقيق الانتصارات التي تتالت وتعددت، ووُفِّق في تأسيس الدولة الجزائرية التي كانت من أسمى أهدافه وتطلعاته، أقرّ فيها الأمن وأنشأ لها عُملة موحدة وجعل لها عاصمة وهي الزمالة المتنقلة. كما اعتمد في حركاته التكتيكية على حرب الكر والفر وحرب العصابات، التي تتم بالوسائل القتالية الخاصة المحلية.

الأمير عبد القادر والقانون الدولي الإنساني

في إطار الاحتفال بمرور 150 سنة على تأسيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومرور 130 سنة على وفاة الأمير عبد القادر، نظم مكتب اللجنة الدولية بالجزائر، ومؤسسة الأمير عبد القادر، ووزارة التربية الوطنية الجزائرية مسابقة حول مساهمة الأمير الجزائري في التأسيس للقانون الدولي الإنساني. وهنا تجدون النص الفائز بالمركز الأول للطالبة ريم نرجس قاسم بشعبة العلوم، مدرسة الفروط بوعلام الثانوي

ومما لا يخفى علينا -كأبناء بلده- أنه ساهم وبقوة وطاقة كبيرتين في تكريس المفاهيم المتعلقة بحقوق الإنسان بنهجه المتميز والفريد من نوعه في تحقيق مبدأ التسامح والتعايش المشترك. فقد كان رجل دين، بين الطوائف، وتسامَح معهم، ومن جهة أخرى كان رجل حوار بين الديانات، سواءً على أرض الوطن الذي اعترف له بولائه، أو خارجه.

وعرفانًا بهذه المجهودات كلّف رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر «جاكوب كيللنبرغر» أحد أعوانه بتقديم رسالة يذكر فيها «أنه من الخطأ اعتبار أن أُسس القانون الإنساني ظهرت مع إبرام معاهدة جنيف عام بل قبلها»، وأشار رئيس الدولية إلى أن العديد من الشخصيات أسهمت في تكريس حقوق الإنسان قبل أفكار هنري دونانت، أمثال حمورابي وصلاح الدين الأيوبي ... والأمير عبد القادر الجزائري، كما أضاف في بحثه المُطوّل إلى أن العديد من القوانين والمبادئ التي سطرها الأمير «لم تفقد من قيمتها حتى اليوم».

وعلى ضوء إنقاذه للعديد من المسيحيين واليهوديين في منفاه والذين يتعددون بقرابة 12000 شخص، تقول المفوضة السامية لحقوق الإنسان «لويز آربور»: إننا نحتاج وبضرورة ملحّة إلى «إقرار مبدأ التسامح» وأشارت إلى أننا في حاجة إلى الانفتاح على الغير، كما أشادت بنهج «الأمير عبد القادر» في تعامله مع أسراه. كما نشر أحد المحررين سيرة الأمير عبد القادر في كتابه «الأمير فارس الإيمان» أن الأمير كان يحاول «أنسنة الحرب» التي شنّها ضد المعمِّر، فكانت معاركه راقية في إطار المبادئ الإنسانية والقيم السمحة للشريعة الإسلامية، ودلائلنا على ذلك هي السماح للأسرى بالتّداوي في دولته وحياكته لهم ما يرتدون من ملابس وغيرها واعتناؤه بهم أيّما اعتناء!. وظل على الحال هذه إلى أن وافته المنية في المنفى في 26 مايو 1883. ونُقل رُفاته إلى أرض الوطن الحبيب في 5 يولية 1966 ودُفن بمقبرة العالية بالعاصمة، إلا أن فضائله وخصاله الحميدة تظل حية وراسخة مهما طال الزمن، يعترف بها أعداؤه قبل أحبائه، وتشهد لها البشرية جمعاء ■

> نظرًا للوشائج الفكرية القوية التي جمعت ما بين الناشط هنري دونان السويسري، والأمير عبد القادر الجزائري، وتعبيرًا عن الإيمان بالمبادئ والأفكار العظيمة حرصت الحكومة الجزائرية، في ذكرى مرور 150 عامًا في خدمة الإنسانية، على تجسيد تلك المعاني عبر إهداء تمثالين نصفيين للجنة الدولية للصليب الأحمر في حضور عدد من المسؤولين من الجانبين.

ICRC

ليندا بوعلي*

.. وأحفاد الأمير النجباء في ضيافة اللجنة الدولية

ICRC

في مسابقة حول الأمير عبد القادر فاز خمسة طلاب جزائريين من بين عشرات المتنافسين في المدارس الثانوية التابعة لولايات الجزائر العاصمة، وتيزي وزو، وقسنطينة، ومعسكر، وأدرار

في ختام المسابقة، وإعلان النتائج حظي الطلاب الفائزون برحلة ثقافية صيفية إلى مدينة **جنيف** حيث يقع مقر **اللجنة الدولية للصليب الأحمر**، وضمت الرحلة الأسماء التالية: **ريم نرجس قاسم**، و**سارة قدوس**، و**إيمان صيد**، و**خالد الويسي**، و**نسيم أنيس أمين**.

عن المسابقة وجائزتها، تقول **إيمان صيد**، التي احتل مقالها المرتبة الأولى في ولايتها **قسنطينة**، وهي طالبة في الثانوية العامة (البكالوريا) لعام 2014، شعبة علوم تجريبية بثانوية **عبد الحميد ابن باديس**:

«أتيحت لي في العام المنصرم فرصة المشاركة في مسابقة أفضل مقال عن الأمير الجزائري عبد القادر، واحتل مقالي المرتبة الأولى بين أبناء محافظتي من الطلاب المتنافسين. تناول المقال الدور البارز لمساهمة الامير عبد القادر في تأسيس القانون الدولي الإنساني باعتباره أول من وضع حقوق الإنسان موضع الاعتبار والتنفيذ قبل مؤسس الصليب الأحمر هنري دونان، وقبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بغض النظر عن دينه وجنسيته، وتطرق المقال إلى إنسانيته السمحة في أثناء المقاومة والتعامل مع أسراه من الأعداء في الجزائر، وانشغاله بعد نفيه إلى بلاد المشرق (سورية حاليًا) بأعمال الخير التي كانت تنعش روحه وتضفي عليه هدوء الواثق الراضي. وأرى أن الأمير عبد القادر استمد حسه الإنساني، والكثير من مبادئه كفارس نبيل من أبيه محيي الدين.

استهللت ورقتي عنه بسرد الموقف الإنساني الأهم، والذي كان حجر الزاوية في التعريف بالقواعد الإنسانية في الحرب، عندما وقف الأمير الجزائري المسلم متطوعًا في وجه جنون حرب الموارنة التي دارت سنة 1860 بين المسيحيين العرب والدروز المسلمين، حيث سارع إلى حماية المسحيين، متخذًا من بيته مأوى لهم؛ ليساهم في إنقاذ 12 ألف روح؛ ليقوم ملك فرنسا لاحقًا بمنحه وشاح فرنسا الأول».

وعن رحلته إلى جنيف تقول **إيمان**:

«في أثناء زيارتي إلى جنيف عرفت الكثير عن دور اللجنة الدولية في مد يد المساعدة للمنكوبين، كما لفت نظري أسماء مؤسسيها الذين عملوا على إنشائها ورعايتها، وسهروا على إنشاء هذه المنظمة واستمرارية خدماتها، ومساعداتها لضحايا الصراعات والنزاعات دون تمييز، كما بهرتني للغاية زيارة متحف الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، الذي وجدته ملهمًا بما يحتويه من قصص لخبرات وتجارب إنسانية شديدة العمق».

وتطمح **إيمان** إلى استكمال دراستها الجامعية، للالتحاق بالعمل باللجنة الدولية، وذلك على حد قولها: **«لأمارس دوري الإنساني في مساعدة الآخرين، والسعي لحماية حقوق الإنسان التي أراها طوق نجاة الإنسانية»** ■

* مسؤولة قسم الإعلام في مكتب اللجنة الدولية في الجزائر

العمل للأمل..

مبادرة لاستعادة بهجة الحياة

يتكرر حدوث مبادرات المجتمع المدني في أنحاء منطقة الشرق الأوسط حيث الأزمات كثيرة فتتحرك مجموعات من الناشطين والمتطوعين لدعم التجمعات المهمشة ولمساعدتها في تجاوز بعض مشكلاتها، ومن بينها مبادرة **العمل للأمل**.

وقد انطلقت مبادرة «**العمل للأمل**»، التابعة لمؤسسة **المورد** الثقافي، وهي مؤسسة إقليمية غير ربحية مقرها القاهرة، في العام الماضي بعد أن تحمس لها مجموعة من الناشطين المصريين والعرب بهدف مساعدة ودعم المجتمعات التي تعاني من الحرب، أو التهجير، أو الاضطرابات السياسية، أو الأحوال المعيشية الصعبة. وكان ذلك عبر إمداد هذه المجتمعات بأدوات التعبير، والتعلم، والتعافي، والإبداع، والتواصل من خلال تقديم باقة من الخدمات والأنشطة لتلبية بعض الاحتياجات المادية والمعنوية لقاطنيها، ومساعدتهم على لم شتات حياتهم، واستعادة القدرة على التفاعل الاجتماعي.

تقول مديرة مؤسسة المورد الثقافي **بسمة الحسيني**: «**انطلقت فكرة المبادرة بعد زيارة نظمتها المؤسسة لنحو 17 فنانًا وكاتبًا وإعلاميًا ومعالجًا نفسيًا إلى مخيمات اللاجئين السوريين في تركيا وداخل سوريا في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2012. وتسعى المبادرة الآن إلى الاستقلال لتنفيذ برامج الإغاثة الثقافية، وتطوير مهارات الشباب البارزين ثقافيًا واجتماعيًا للاستمرار في إدارة أنشطة المبادرة بعد نهاية البرامج وتقييمها في الربع الأول من العام الحالي**».

IORC

في أوقات الأزمات وفترات عدم الاستقرار والحروب الممتدة، يصبح من المستحيل استجابة أطراف النزاع لدعوات تلبية احتياجات المدنيين لممارسة حياتهم اليومية، وهنا يبرز الدور الأهم والمميز للمبادرات المجتمعية التي تنبع من الداخل استجابةً لاستغاثات التجمعات المدنية المتضررة.

4 تجارب مهمة

تعتمد المبادرة في تنفيذ أهدافها على «قوافل الإغاثة الثقافية» التي تتراوح مدتها بين 11 و13 يومًا للقافلة، بمشاركة ما بين 10 و13 متطوعًا من المتخصصين العرب في المجالات المختلفة.

في العام 2013، تركز عمل المبادرة على مصر وسورية لما يمر به البلدان من تغيرات سياسية واجتماعية شديدة الوطأة، وانطلقت القوافل في أربع مناطق عشوائية فقيرة ذات كثافة سكانية مرتفعة، وهي:

– منطقتا «**اسطبل عنتر**» و«**عزبة خير الله**» بحي «**مصر القديمة**» في **القاهرة** (أيار/ مايو - حزيران/ يونيو 2013)

– «**حي التنك**» في **طرابلس** شمال لبنان بالتعاون مع جمعية «**آفاق**» الاجتماعية الخيرية (آب/ أغسطس 2013)

– وقرية **الدوير** في **أسيوط** بجنوب مصر بالتعاون مع جمعية **أصدقاء أحمد بهاء الدين** (تشرين الثاني/ نوفمبر 2013)

– ومخيم **المرج** في منطقة **سهل البقاع** اللبناني بالتعاون مع مؤسسة «**اتجاهات**» (كانون الأول/ ديسمبر 2013)

قوافل النور

شملت القوافل إقامة ورش تدريبية في الفنون، للشباب والأطفال والنساء في مجالات المسرح، والموسيقى، والفنون البصرية، ومونتاج تصوير الفيديو والفوتوغرافيا، والخط العربي، والتشكيل باللحام، كما تضمنت إقامة فعاليات ثقافية وفنية، ومعارض، وإلقاء محاضرات باستخدام طرق التعلم السريع لطلاب التعليم الأساسي، فضلًا عن عيادة طبية مجانية، واستشارات نفسية، وأنشطة رياضية، وندوات توعية صحية وقانونية، ومناقشات سياسية واجتماعية. وبالتوازي تم توزيع إعانات تشتمل على مواد غذائية وأدوات للنظافة ودفايات ووقود للتدفئة، بالإضافة إلى توزيع كتب، وأدوات رياضية، ولعب أطفال، وأدوات مكتبية. وتم منح المتميزين في الورش الفنية جوائز منها أجهزة حاسب شخصي، وكاميرات تصوير، ودراجات، وأدوات موسيقية.

من جهة أخرى، تم تنظيم رحلات ثقافية

•••

تعمل المبادرة على تلبية احتياجات إنسانية تتخطى الطعام والشراب إلى الغذاء الروحي

تركز عمل المبادرة حتى الآن على مصر وسورية لما يمر به البلدان من تغيرات شديدة الوطأة

•••

ترفيهية إلى المتحف المصري (**القاهرة**)، و«**دير درنكة**» ومدينة الملاهي في **أسيوط**، ومدينة **جبيل** اللبنانية بالنسبة لقوافل لبنان. كما أقيم في نهاية كل قافلة، حفل فني ختامي شارك فيه فنانون من مصر ولبنان.

تعمل المبادرة على تلبية احتياجات إنسانية تتلخص في:

– الحاجة إلى التعبير الحر عن طريق الفنون

– الحاجة إلى رواية ما حدث وما نتج عنه من مشاعر دون الاحساس بالتهديد أو الرقابة

– الحاجة الى تبادل التجارب والقدرة على تقبل ومنح التعاطف من وإلى الآخرين

– الحاجة إلى الإحساس بالارتباط بالآخرين

– الحاجة إلى أدوات التعبير والمعرفة، ومهارات استخدامها

– الحاجة إلى مواقع للنشاط الثقافي والاجتماعي

الاستقلال والاستمرار

تؤكد مديرة المبادرة **بسمة الحسيني** أن هناك سعيًا لتطوير المبادرة لخدمة مجتمعات أخرى تمر بأزمات، داخل أو خارج المنطقة العربية، ومن المتوقع إعلان تأسيس **«مبادرة العمل للأمل»**

ICRC

ICRC

ICRC

من فعاليات القافلة مع أطفال «حي التنك» بطرابلس، شمال لبنان.

ICRC

الأهم في هذا النوع من المبادرات تأثيرها الإيجابي الكبير على المجتمعات المضيفة للاجئين

كمؤسسة مستقلة لاستكمال ومتابعة أنشطة قوافل **العمل للأمل** التي تم إطلاقها، ومنها برنامج المنح الدراسية «**العلم نور، الفن حياة**» الذي يعمل على إيجاد رعاة من القادرين للأطفال المتميزين فنيًا أو علميًا من رقيقي الحال بين سن الثامنة والسادسة عشرة، فضلًا عن إقامة مركز ثقافي دائم بمخيمات اللاجئين السوريين، والاتفاق مع مؤسسات مدنية في المنطقة لإدارته وتصميم وتنفيذ أنشطة فيه.

على صفحتهم على فايسبوك يكتب القائم على الصفحة «اليوم آخر يوم لنا في **مخيم المرج**، بعد ذلك سننطلق إلى «**حي التنك**» **بطرابلس** إن شاء اللّه. لا أجد وقتًا لأسرد كل المواقف الإنسانية التي مررنا بها، ولكن هناك أمورًا لا تنسى، كأن يقول لنا رجل خمسيني «بسببكم هذه أول كلمة أكتبها في حياتي!». فقد تولى متطوعان في المبادرة تدريس الأهالي أساسيات اللغة العربية والإنجليزية.

ويضيف القائم على صفحة فايسبوك «لن أنسى كرم وبشاشة اللبنانيين معنا عندما كنا نشتري حاجيات ويعرفون أنها لمخيم نازحين سوريين.. كانت صاحبة المكتبة تستيقظ مع الفجر لتفتح لنا المكتبة كي نستطيع إحضار مستلزمات ورشة الأعمال اليدوية والفنون الحرة. أما حمادة صاحب محل الأجهزة الكهربائية الذي قام من نفسه بإعطائنا تخفيضًا على مضخات المياه وأهدانا أجهزة رافضًا أن يتقاضى ثمنها...مواقف أكثر من الحصر وأكبر من الكلام...» فالأهم في هذا النوع من المبادرات ليس فقط في المتطوعين الذين ينضمون إليها، ولا في التأثير الذي تتركه على اللاجئين أو المجتمعات التي تستهدفها فقط، بل أيضًا في تأثيرها الإيجابي الكبير على المجتمعات المضيفة للاجئين ■

ICRC

ICRC

مع أطفال مخيم سهل البقاع، لبنان

عروض وفعاليات للمبادرة في قرية الدوير، أسيوط، جنوب مصر

أ. ع.

المبادرة تسعى لخدمة مجتمعات أخرى مأزومة، داخل أو خارج المنطقة العربية

دفاعًا عن نصف سرير

ياسر الزيات*

رسم إنجي أفلاطون**

يبدو أنني عشت أكثر مما يجب، في عمر هو أقصر مما أظن. فلماذا أكتب لكم؟، ولماذا تقرءون لي؟، لا أعرف. قل: «هي فضفضة والسلام».

الجملة التي أعتبرها مفتاح حياتي هي: «لا أعرف». وكلما ازدادت معرفتي ازدادت حاجتي إلى المعرفة. ولو أردت أن أظهر نفسي بوصفي حكيمًا لقلت إن المعرفة جحيم، ولكنني لا أريد. كلما أردت الذهاب إلى الكمال هاجمك النقصان، وربما كان هذا سر الحياة.

في 18 أيلول/سبتمبر القادم، سأكمل 26 عامًا في عالم الصحافة. وكان بإمكاني أن أكتب الجملة السابقة كالتالي: «في 18 سبتمبر الماضي، أكملت 25 عامًا في عالم الصحافة»، لكنني أحب النظر إلى المستقبل. فهل هناك مستقبل فعلًا؟، الإجابة النموذجية: «لا أعرف». لكنني أرى أن الزمن لا ينقسم إلى ماض، وحاضر، ومستقبل كما علمونا. أراه حاضرًا مستمرًا متحولًا، يمضي إلى الأمام، فيصنع ماضيًا، ويحلم بالاستمرار فيرسم مستقبلًا.

لم أكن أعرف أنني سأصبح صحفيًا، ولم أكن أريد. ولا أعرف إلى الآن ما الذي كان من المحتمل أن أكون إذا لم يفاجئني المستقبل، الذي أصبح ماضيًا الآن، بتحولاته. عملت صحفيًا لأنني– ببساطة– لم أجد عملًا آخر. كنت أنظر إلى الصحافة نظرة متعالية من موقع الشاعر الذي يرى في الصحافة مهنة تافهة لا تليق به. كثير من الشعراء يترفع عن العمل في الصحافة بدعوى أنها تقتل الموهبة، لكنني أعترف بأن الصحافة أفادتني كثيرًا في كتابة الشعر، كما أن الشعر فعل الأمر نفسه معي في الصحافة.

كنت قد تعبت من تشردي. استقبلتني القاهرة بقسوة، فأردت أن أعاقبها على القسوة بالرحيل. أردت أن أودع الروائي الكبير الراحل، وأبي الروحي، خيري شلبي في مكتبه في مجلة الإذاعة والتليفزيون. قابلته لأول مرة في سوهاج، في أمسية شعرية، فنصحني مع عصام أبو زيد وجرجس شكري بأن نعيش في القاهرة، لأن الصعيد سيدفن مواهبنا. قلت له إنني قررت العودة إلى سوهاج لأعمل مدرسًا. قلت له إنني لم أعد أحتمل القاهرة. قلت له إنني «ابن ناس، ولا أحتمل هذه البهدلة»، وكانت عيناي تلمعان. قال: «انتظرني 10 دقائق». ذهب إلى رئيس التحرير محمد جلال، الذي أصبح بعد ذلك أول معلم لي في الصحافة، وعاد بعد دقيقتين، وقال: «هذا مكتبك». وهكذا ببساطة عملت في مهنة كنت أتعالى عليها، فأصبحت تدريجيًا عشقي الكبير، لأنها حمتني من سؤال يومي قاس: «أين أنام هذه الليلة؟».

قال لي رئيس التحرير: «اقرأ هذا الموضوع». قرأته، وقلت: «سيئ جدًا». قال: «إعمله كويس، اكتبه زي ما تحب تقراه». وبقيت لفترة طويلة لا أعرف اسمًا لعملي كمحرر لإعادة الصياغة «ديسك مان»، لكنني كنت أعرف أن الموضوعات تأتيني سيئة، وأن عليّ أن أجعلها جيدة. لم أكن مشغولًا بمعرفة اسم مهنتي، فالأهم أن أستمر فيها، لأنها ستوفر لي راتبًا في آخر الشهر، يمنحني مكانًا– أي مكان في هذا العالم– أنام فيه. كنت أعمل ما بين 10 ساعات و18 ساعة يوميًّا، لأنني كنت أدافع عن نصف سرير في حارة ضيقة متفرعة من شارع المحطة في الجيزة.

كانت الشقة مكونة من غرفتين وصالة. الغرفة الأولى يسكنها شاعران أقرب إلى التصوف، والثانية فيها شاعران شيوعيان يتقاسمان سريرًا كبيرًا. وكان يزورنا صديقنا الشاعر جرجس شكري، فنقترح عليه– مازحين– أن ينام في منطقة محايدة، بوصفه مسيحيًا، وهي كنبة في الصالة التي تفصل بين الغرفتين. كان نصف السرير هذا جنتي الحقيقية، وكان الحفاظ عليه دافعي الأساسي لتطوير مهاراتي في العمل، إذ لم أكن أمتلك غيرها للبقاء.

كنت أشعر بأن الفلوس قد أذلتني في القاهرة، لذلك كنت– وما زلت– أعاملها باحتقار. كان فقدانها سببًا في جوعي وتشردي وحرماني من نومة مريحة، بعيدًا عن النوم في المساجد، أو الحدائق العامة، أو على سلالم الأصدقاء منتظرًا، وكان عليّ أن أذلها. تقاضيت راتبي الأول، وكان 71 جنيهًا و55 قرشًا، فجريت به إلى البيت. عندما فتحوا الباب، بعثرت الراتب كله في الهواء، وسط صراخ أصدقائي واتهامهم لي بالجنون. وأحضرت المكنسة، وكنست الراتب كله إلى مكان الزبالة. لملموه سريعًا، محاولين إنقاذه من حالة الهستيريا التي أصابتني، واقتطعوا منه الإيجار، وكان ستين جنيهًا. وذهبنا بما تبقى إلى عربة كبدة في ميدان الجيزة. أعطيت المبلغ كله لصاحب العربة مقدمًا ليمنحنا به كاملًا ساندويتشات كبدة. أكلنا، وشبعنا، لكننا واصلنا الأكل. كنا نأكل من باب الاحتياط، ولم نكن نفكر في الغد، لأن المستقبل لا يجيء أبدًا، ولأن الحاضر المستمر هو الزمن الحقيقي لكل شيء.

كنت أدافع عن نصف سرير ■

* رئيس تحرير هنا صوتك، الموقع العربي لإذاعة هولندا العالمية.

** رسامة مصرية راحلة.

اندهاشات أخيرة

لم نكن معًا

نظارته السميكة أظهرت عينيه الجاحظتين بصورة أكثر جحوظًا.

تركته يستعد لإطلاق كلماته اليومية المعتادة والمكررة بصوته الجهوري، وابتسمت ثم جلست على كرسي بثلاثة أرجل تعبت في أن أجعله قادرًا على حملي، ثم شغّلت الموسيقى الصاخبة، ووضعت السماعات في أذني، وأغمضت عينيّ فرأيته بنظارته السميكة يحمل سوطًا، ويندفع نحوي وأنا أضحك.

اندهاشة

لم أشعر به إلا وهو يسحب نعله ويلقي به في الهواء ويجري في الشارع العريض، تاركًا خلفه نزيفًا من اندهاشات العيون.

العيون التي تراه لأول مرة بهذه الصورة انفتحت عن آخرها.

العيون سقطت فيها ذرات متناثرة من ملابسه بعدما طيّرته الرياح إلى مكان لا يعلمه أحد.

العيون أُغمضت ولم تنفتح حتى الآن.

في اليقظة

غرقت كل الصور في دموعه تمامًا فلم يبق منها إلا هؤلاء الأطفال الذين ظهر عليهم انكسار مفاجئ. تقلب في فراشه ورقد على ظهره، مقاومًا رغبة في البقاء. تعلقت عيناه بجذوع النخيل التي تحمل أعواد عباد الشمس، فرأى عندما أطبق عينيه ثعابين تتمدد في خطوط مستقيمة، وتتدلى رؤوسها وتشترك جميعًا في مص دمائه، وتنفث سمومها، فيضرب بيديه، ويرفس برجليه، ثم يجلس متلفتًا حوله.

عيناها فقط

حاجتها الشديدة إلى الليمون جعلتها لا تشعر بوخزات أشواكه البارزة.

الأشواك البارزة اخترقت ببطء مسامها. الأشواك صارت جزءًا من تكوينها.

جلست باكية عند جدار. رأته يجلس قبالتها يقرأ في كتاب قديم. رأته جيدًا. رآها جيدًا. وقفت، وقف. أمسك بيديها. لم تستطع أن تحرك يديها. أجلسها، ووضع كتابه جانبًا وراح ينتزع من جسدها أشواك الليمون، وعيناها باسمتان ابتسامة طبيعية.

شهوة

لم يستطع الرجل القابض على الهواء أن يفتح يديه.

الهواء الذي أخذه من الكون أراده لنفسه فقط.

ضحكاته خرجت مجلجلة وهو يرى نصفه يموت ببطء.

تخلص من نصفه الميّت. بقي وحيدًا يفتح يديه. يخرج بعض الهواء الذي يتنفسه وحده. انفتحت يداه عن آخرهما ثم لم يبق من الهواء شيء.

وحيدٌ هو

أقبلنا عليه نحمله.

مال أحدنا وراح يتمتم في أذنه اليمنى. ازداد تشنجه ونشيجه ثم هدأ شيئًا فشيئًا وفتح عينيه عن آخرهما. رأينا عينيه تدوران في كل اتجاه وفيهما لمعان مريب، ارتعدنا. كل منا انتهز الفرصة، وانسحب إلى بيته وشعر رأسه واقف. في طريق عودتنا كنا نتحامى ببعضنا ونحن نسمع نقيق ضفدع.

وصل الجميع إلي البيوت الباردة. ألقينا بأنفسنا في أقرب مكان في صمت.

وحيدةٌ هي

أغلق الباب، عدل من وضْع المخدة، أرقدها فرقدت.

أخذ ينظر في وجهها المتورد المبتسم، وهو ينتظر بين لحظة وأخرى أن تنهض وتطالبه بإعادة الطفل إلى صدرها ليكمل رضعته، غير أنها خيبت ظنَّه لأول مرة ولم تقم، فغلبته الدموع وهو يلمس جسدها الذي كانت لزوجة الحياة تُغطيه، وغطّى وجهها بعد أن ملأ نفسه منه وخرج ■

عادل العجيمي*

رسم **نذير نبعة****

* كاتب مصري
** رسام سوري

ICRC

بني غازي وطبرق:

ورش عمل لتدريب منسقي الإعلام على مهارات الإعلام

في إطار السعي الدائم للجنة الدولية للصليب الأحمر لتطوير مهارات وقدرات الأفراد العاملين بالهلال الأحمر، نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بالتعاون مع الهلال الأحمر الليبي، ورش عمل لتدريب منسقي الإعلام على مهارات إعلامية مختلفة. شارك في هذه الدورات التي أقيمت في بنغازي وطبرق عدد من الإعلاميين من جميع فروع الهلال الأحمر الليبي.

وصرح المتحدث باسم الهلال الأحمر الليبي محمد المصراتي قائلًا: «يعتبر تنظيم مثل هذه الورش بالتعاون مع اللجنة الدولية من أهم الورش التي استهدفت منسقي الإعلام بالهلال الأحمر الليبي لتدريبهم على كيفية التواصل مع المجتمع المحلي، وتعريفهم بالحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، كما تساهم في تطوير مهارات كتابة الخبر الصحفي والبيانات الصحفية ووسائل الإعلام المختلفة، ليتمكن منسقو الإعلام من أن يكونوا فاعلين في الهلال الأحمر الليبي. كما تشكل تلك الورش فرصًا لمنسقي الإعلام لتبادل المعلومات، واستقاء الخبرات من المحاضرين باللجنة الدولية، وبعض الصحفيين التليفزيونيين المحترفين لتدريب المنسقين على كيفية إجراء المقابلات التليفزيونية، وعلى مهارات التصوير التي تهم الإعلاميين والصحفيين».

والجدير بالذكر، أن اللجنة الدولية تقوم في ليبيا بزيارة المحتجزين، والبحث عن المفقودين، والتعاون مع الهلال الأحمر الليبي لتقديم المساعدة للمصابين أو النازحين بسبب العنف، فضلًا عن تدريب متطوعي الهلال الأحمر الليبي لإبراز مخاطر مخلفات الحرب. وتعمل اللجنة الدولية أيضًا على توفير بيئة مواتية لتطبيق القانون الدولي الإنساني، عن طريق نشره بين المتنازعين، وتقديم الخبرات في مجال تدريس هذه القواعد الإنسانية للجيش وقوات الأمن، ودمجها في المناهج الدراسية الخاصة بها.

عمان:

مؤتمر إقليمي حول الرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العاصمة الأردنية عمان في الفترة من 25 إلى 27 آذار/ مارس المؤتمر الإقليمي الثاني حول الرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز، بالتعاون مع وزارة الصحة في الأردن، وذلك للمرة الثانية على التوالي حيث عقد بها قبل عامين. شارك في افتتاح المؤتمر وزير الصحة الأردني د.علي حياصات، ورئيسة بعثة اللجنة الدولية في الأردن كاثرين جوندر، فضلًا عن ممثلي سلطات الاحتجاز والعاملين في مجال الرعاية الصحية من 12 بلدًا من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والتي يقوم موظفو اللجنة الدولية بزيارات للمحتجزين بها .

وفي إطار المؤتمر، صرح وزير الصحة الأردني أن الوزارة أنشأت وحدة لرعاية الشؤون الصحية لنزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل بهدف توفير خدمات الرعاية الصحية، مضيفًا أن الوحدة تعمل على التنسيق والتعاون مع جميع المؤسسات الحكومية، والمنظمات غير الحكومية، والجمعيات التطوعية في وضع السياسات بما يتعلق بالأمر ضمن الاتفاقيات والقوانين المرعية.

من جهة أخرى، أكد د.رائد أبو ربيع، منسق اللجنة الدولية للخدمات الصحية في أماكن الاحتجاز على أن المحتجزين شأنهم شأن أي شخص آخر يحتاجون إلى الرعاية الصحية، وتلقي العلاج، الذي لا يمكن توفيره في كثير من الأحيان دون تعاون وزارات الصحة، والعدل، والداخلية.

وقد ناقش المشاركون في المؤتمر عددًا من القضايا، منها: التحدي المتمثل في تحقيق التوازن بين الاعتبارات الأمنية واحتياجات الرعاية الصحية، والمعايير الدولية للرعاية الصحية في أماكن الاحتجاز، وآداب مهنة الطب ودور الأطباء في أماكن الاحتجاز، وتأثير الحبس الانفرادي على المحتجزين، والعواقب الطبية للمعاملة السيئة داخل أماكن الاحتجاز، والتعامل مع حالات الإضراب عن الطعام، وغيرها من الموضوعات.

.. وندوة حول علاج جراح الأسلحة

ICRC

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الثامن من نيسان/ أبريل 2014 المنصرم ندوة عن جراحة الحرب، وهي الثانية من نوعها، في مستشفى الملك عبدالله المؤسس الجامعي في مدينة إربد، شمال الأردن. شارك في الندوة نحو 55 من الأطباء الأردنيين والسوريين، وأدارها اثنان من كبار جراحي اللجنة الدولية المتخصصين في هذا الفرع الجراحي.

وطبقًا لما صرح به د.حسين الدهوي، منسق الأنشطة الطبية لبعثة اللجنة الدولية في العاصمة الأردنية عمان، أن الندوة تهدف إلى دعم الأطباء الأردنيين والسوريين الذين يشاركون في علاج المصابين جراء النزاع المسلح الدائر في سوريا، وأضاف قائلًا: «إن الهدف من الندوة يتحقق بإطلاع المشاركين على خبرة متخصصي اللجنة الدولية للصليب في التعامُل مع الإصابات الناتجة عن الأسلحة الحربية، حيث سيقوم جراحو اللجنة الدولية بتعريف المشاركين بتقنيات الجراحة والتخدير الملائمة، وكيفية العناية بالمرضى في الظروف الصعبة التي تسود مناطق الحروب. كما سيتم تعريف المشاركين بقواعد القانون الدولي الإنساني التي تحكُم الحصول على الرعاية الطبية في أوقات الحرب».

الجدير بالذكر، أن الندوة السابقة حول جراحة الحرب تم تنظيمها في عمان في شباط/ فبراير من عام 2013.

الرياض:

دورة تدريبية للصحفيين حول استعادة الروابط العائلية

ICRC

أقامت البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في الكويت دورة تدريبية حول استعادة الروابط العائلية في الرياض في الفترة من 6 إلى 8 كانون الثاني/ يناير، وذلك بالتعاون مع هيئة الهلال الأحمر السعودي، حضرها حوالي 30 شخصًا من مختلف فروع الهيئة في المملكة المعنيين بمتابعة قضايا استعادة الروابط العائلية، ومنهم نائب مدير إدارة العلاقات الدولية في الهيئة، سمو الأمير بندر بن فيصل آل سعود.

استهدفت الدورة تعزيز قدرات موظفي هيئة الهلال الأحمر السعودي المعنيين في مجال الروابط العائلية، وإطلاعهم على آخر المستجدات، والأدوات المتاحة لتحسين الخدمات المقدمة بكفاءة وفاعلية أكثر لتحقيق المساعدة والتواصل ما بين المعتقلين السعوديين خارج السعودية وأسرهم في الداخل.

تونس:

حلقتا عمل حول تحسين الظروف المعيشية للمحتجزين

نظمت البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر في تونس بالتعاون مع وزارة الداخلية حلقتي عمل حول تحسين الظروف المعيشية للمحتجزين في مراكز الحبس الاحتياطي، وذلك في 9 تشرين الأول/ أكتوبر 2013، و12 آذار/ مارس 2014 المنصرمين؛ في إطار مشروع شامل للسلطات التونسية يرمي إلى إصلاح النظام الأمني من أجل كفالة احترام أكبر لحقوق الإنسان.

أتاحت حلقتا العمل الفرصة لإطلاع الأطراف الفاعلة في المجتمع المدني، وممثلي المنظمات الدولية العديدة في تونس على أعمال وأهداف المشروع الشامل الرامي إلى تحسين معاملة الأشخاص المحتجزين داخل مراكز الحبس الاحتياطي. وبخلاف استعراض الأهداف العامة المتوقعة من هذه المبادرة والمجالات التي تغطيها، جرى تسليط الضوء على التدابير المبدئية التي تم اعتمادها، وهي:

– إعداد وتدريب بهدف التوعية ضد المعاملة السيئة، وتشجيع اتباع نهج مختلف مع أفراد المجتمع

– وضع مسودة أولية لمدونة خاصة بالممارسات الجيدة في مجال الحبس الاحتياطي

– إعداد ملصق تذكيري بالضمانات القضائية المنصوص عليها في القانون التونسي

ويشير المدير العام للتعاون الدولي والعلاقات الخارجية بوزارة الداخلية رضا بالرابح إلى أن «السلطات تفخر بالانضمام إلى هذا المشروع الرامي إلى إحداث تغييرات مستدامة في مجال الحبس الاحتياطي».

وقدم المشاركون توصيات في نهاية حلقتي العمل جرى رفعها للسلطات التونسية كي تتبنى هذه الأفكار وتدرجها في المشروع الجاري. هذا وتدعم اللجنة الدولية مشروع السلطات التونسية، وتوفر له إطار عمل منهجي لتسهيل دراسته والتواصل مع شركاء المستقبل سواء على المستوى التقني أو المالي.

ICRC

القاهرة:

ندوة تدريبية عن علاج المصابين بسبب الأسلحة

نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة في شهر آذار/مارس المنصرم ندوة عن التقنيات الجراحية المستخدمة في علاج المصابين بسبب الأسلحة حضرها 40 طبيبًا، وأدارها على مدار ثلاثة أيام اثنان من كبار جراحي اللجنة الدولية. انعقدت الندوة في المعهد القومي للتدريب بالتعاون مع قسم الرعاية العلاجية، ورعاية الحالات الحرجة بوزارة الصحة والسكان، وذلك في إطار سلسلة دورات تدريبية من تنظيم اللجنة الدولية عن علاج المصابين بسبب الأسلحة، وبرامج تدريبية عن أقسام الطوارئ، وخدمات علاج الصدمات.

وصرح د.هشام عطا، مساعد وزير الصحة المصري قائلًا: «لدينا بالفعل عدد من الأطباء المهرة المدربين، غير أن العمل في حالات الطوارئ أو وسط أحداث العنف يستلزم مهارات أخرى، وهو ما تسعى هذه الدورة التدريبية لتدريب الأطباء على اكتسابه».

وأشارت ماريان غاسر، رئيسة بعثة اللجنة الدولية في مصر إلى هدف الندوة بقولها: «تود اللجنة الدولية إطلاع المشاركين على الخبرة العريضة التي اكتسبها متخصصوها من خلال عملهم الطويل في علاج المصابين بسبب الأسلحة. ومن شأن هذه التقنيات أن تساعد الأطباء المصريين على علاج إصابات محددة قد يواجهونها في أثناء عملهم اليومي».

من المعروف أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تعمل في مصر بشكل متقطع منذ العام 1914، وتتركز أنشطتها الرئيسية على التعاون الوثيق مع الهلال الأحمر المصري من أجل تعزيز استعداده لتلبية الاحتياجات الإنسانية في حالات الطوارئ، وخصوصًا في مجال الإسعافات الأولية، وتعزيز القانون الدولي الإنساني وإدراجه في التشريعات الوطنية، والتدريب العسكري، والمناهج الأكاديمية.

بيروت:

ندوتان إقليميتان حول القانون الدولي الإنساني

ICRC

نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتعاون مع المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية بجامعة الدول العربية ندوتين إقليميتين خلال شهري شباط/ فبراير، وآذار/ مارس المنصرمين عن القانون الدولي الإنساني، حضرهما مسؤولون حكوميون وأكاديميون من عدة دول عربية، وغير عربية، وإسلامية من بينها: باكستان، وأفغانستان، والنيجر، والكونغو، والفلبين، وتايلاند.

ركزت الندوتان اللتان عقدتا على مدار أسبوعين في بيروت على مبادئ القانون الدولي الإنساني وقواعده، وآليات التطبيق، وآخر تطورات القانون والتحديات القائمة أمام تنفيذه. وتعرف المشاركون الذين بلغ عددهم 60 شخصًا في ندوة شباط/ فبراير، و54 شخصًا في ندوة آذار/مارس على دور اللجنة الدولية في النزاعات المسلحة، والتفويض الممنوح لها، فضلًا عن مكونات الحركة الدولية التي تتألف من اللجنة الدولية، والجمعيات الوطنية للصليب الأحمر، والهلال الأحمر في جميع أنحاء العالم، وهو ما يجعلها أكبر شبكة إنسانية عالمية. وشدد السيد فابريزيو كاربوني رئيس بعثة اللجنة الدولية في لبنان، في كلمة وجهها للمشاركين على الحاجة الملحة في وقتنا الحالي لتطبيق وضمان احترام أحكام القانون الدولي الإنساني، من أجل منع وتخفيف المعاناة البشرية الناتجة عن الحروب.

وكانت اللجنة الدولية، نظمت بالتعاون مع جامعة الدول العربية 17 ندوة مماثلة منذ عام 2004 وحتى الآن.

طهران:

محادثات لتعزيز الروابط في مجال الطب الشرعي

عقدت محادثات بين خبراء من كل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والمسؤولين في هيئة الطب الشرعي الإيرانية يومي 29 و 30 كانون الثاني/ يناير المنصرم. وأعرب المسؤولون عن تقديرهم للدعم المقدم من اللجنة الدولية الذي يسمح على وجه الخصوص بتحديد هوية الأشخاص المفقودين في أثناء الحرب الإيرانية - العراقية، حيث تم بالفعل تحديد هوية أصحاب 140 من الرفات البشرية من بين عدة مئات من الرفات التي خضعت للتحليل، فضلًا عن التدريب على تعزيز قدرة التدخل في حال وقوع كارثة. وتسعى هيئة الطب الشرعي الإيرانية إلى تعزيز التعاون القائم مع مؤسسات إيرانية أخرى، مثل: الجمعية الوطنية للهلال الأحمر، وكذلك العمل مع اللجنة الدولية بهدف تقديم الخبرة في مجال الطب الشرعي إلى البلدان المجاورة.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

ICRC

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 2 (02+) فاكس: 25281566 2 (02+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/5921460 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 79 (964+) فاكس: 712266 763 (873+)
(عمّان): غرب أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 5 و 14 ص. ب. 9058 عمّان 11191 الأردن
(عمّان): هاتف: 65523994 (962+) فاكس: 65523954 (962+)
البريد الإلكتروني: iqs_ iraq@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 2 (972+) فاكس: 5917920 2 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299 1 (961+) فاكس: 740087 1 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 467709 183 (249+)
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 71 (216+) فاكس: 960156 71 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب مصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21/9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 1 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–21 22645821 (98+) فاكس: 21 22600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

نواكشوط: مقاطعة ب الشمال 182 مقسم ب صندوق بريد: 5110 نواكشوط
هاتف: 38 447 52 (222+) فاكس: 97 446 52 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@icrc.org

كتيب عن هندسة وتصميم وتخطيط السجون

كتيب عملي يتناول هندسة، وتصميم، وتخطيط السجون، وتوجيهات تكميلية تتعلق بالمياه، والصرف الصحي، ووسائل النظافة الصحية، وظروف الإقامة بها. الكتيب موجه إلى جميع مندوبي اللجنة الدولية للصليب الأحمر سواء كانوا من ذوي الخبرة العملية الواسعة أو الجدد منهم في مجال زيارة المسجونين.

الوصول الأكثر أمانًا: الارتقاء إلى مستوى التحدي

تواجه جمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الوطنية حول العالم تحديات متزايدة عند تنفيذ مهمتها الإنسانية في سياقات تتسم بالحساسية وانعدام الأمن. وقد فقد العديد من موظفي الجمعيات الوطنية، ومتطوعيها الشجعان، والمتفانين حياتهم في أثناء تأدية واجبهم.

يعرض هذا الإطار المطبوع بالعربية عددًا من الإجراءات، والتدابير التي يمكن للجمعيات الوطنية اتخاذها مع الالتزام الصارم بالمبادئ الأساسية؛ للحد من المخاطر، وكسب ثقة وقبول الجماعات المستهدفة، وغيرهم ممن يتحكمون في وصول الاحتياجات الإنسانية إلى المجتمعات المحلية.

http://www.icrc.org/ara/resources/documents/-23-11/2013/feature safer-access-flyer.htm

ستة ملصقات لتعزيز احترام كرامة الأشخاص في أثناء الاحتجاز

تتضمن الملصقات الستة معلومات أساسية عن الحقوق، والمعاملة الواجبة للأشخاص المحرومين من حريتهم، وتشير أيضًا الملصقات إلى مجال عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في هذا الصدد.

توضح الملصقات دعوة اللجنة الدولية لضمان تلقي الأشخاص المحتجزين معاملة إنسانية، واحترامهم، وعدم تعرضهم للتعذيب أو أي شكل آخر من أشكال المعاملة السيئة، وضمان اتصالهم مع عائلاتهم، والحفاظ على صحتهم، وحصولهم على المأوى المناسب، وتوفير المرافق الصحية لهم، وتلقيهم العلاج والغذاء والمياه بكميات كافية، ويركز أحد الملصقات على الاحتياجات الخاصة للنساء في أثناء الاحتجاز.

http://www.icrc.org/eng/resources/documents/htm.publication/p4118

مختارات من المجلة الدولية للصليب الأحمر 2012

يضم هذا العدد من مختارات المجلة الدولية للصليب الأحمر، التي تصدر عن اللجنة الدولية ودار النشر بجامعة كمبريدج، مجموعة متنوعة من المقالات المختارة التي تتناول عددًا من القضايا ذات الصلة بالقانون الدولي الإنساني والعمل الإنساني، التي سبق تناولها في الأعداد الأربعة السنوية من المجلة الدولية للصليب الأحمر لعام 2012. تخصص المجلة عددها الأخير للاحتفال بمرور مائة وخمسين عامًا على نشأة اللجنة الدولية للصليب الأحمر؛ بإلقاء الضوء على العمل الإنساني والتحديات القانونية والميدانية الراهنة عبر إصدار طبعة خاصة تضم مقالات لشخصيات بارزة عن رؤيتها للمنظمة عبر مجموعة من المقالات عن تاريخ العمل الإنساني، والتي يمكن الاطلاع عليها على الرابط التالي:

http://www.icrc.org/ara/resources/international-review/index.jsp

الإصدار الثاني من المعايير المهنية الخاصة بأنشطة الحماية

يتناول الإصدار الثاني من «المعايير المهنية الخاصة بأنشطة الحماية» الرؤية والاتفاق المشترك بين الوكالات الإنسانية ومنظمات حقوق الإنسان كالأمم المتحدة، والمنظمات غير الحكومية، والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وذلك في مجالي العمل الإنساني وحقوق الإنسان في النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف. تم اعتماد المعايير من خلال عملية استشارية قادتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وهي بمثابة وثيقة تتضمن مجموعة من المعايير الدنيا للوكالات الإنسانية، ومنظمات حقوق الإنسان، التي يجب ضمان اضطلاعها بالحد الأدنى من الحماية بموجب المعايير الموضحة في هذه الوثيقة.

شارتان وهدف واحد: الصليب الأحمر والهلال الأحمر يعملان يدًا بيد

لقطات فيديو مصورة متاحة على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر للتعبير عن وحدة الهدف وإنسانية المهمة. والمعروف أن موظفي اللجنة الدولية يعملون في جميع أنحاء العالم جنبًا إلى جنب مع أعضاء ومتطوعين من الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، ممن يحملون شارتين ويضمهم هدف واحد يتلخص في تقديم يد العون لمن يحتاجون إلى المساعدة، والحماية في أوقات النزاعات المسلحة، وحالات العنف والكوارث الطبيعية.

conflict and crisis. The ICRC's communication policy has witnessed many changes during the last ten years towards greater openness to the mass media, culminating in the abandonment of its traditional stock response of "No comment."

We do not feel that it is necessary to deny every allegation of any kind from whatever source, believing that the best and most practical response resides in our activities and commitment to the principles of humanity, neutrality and impartiality. However, we think it would be useful to explain some points related to the most common questions raised about the ICRC's history, its emblem and how it has developed through the years.

This is why we have chosen the theme of this edition: "When a mirror depicts a distorted reflection". Here we attempt to address many of these difficult questions through the testimonies provided by both ICRC members and those outside the organization who are familiar with our work, whether as our partners in humanitarian action or as victims supported by the ICRC during detention, while seeking refuge or during times of conflict.

This edition is just the first step towards correcting the many misconceptions about the ICRC. Not all questions that people have will be answered here, but we invite those with unanswered questions to search out and find knowledge from authoritative sources, and not from those social media platforms where unsubstantiated allegations and irresponsible opinions are placed by keyboard warriors that may prevent some of our many volunteers from providing aid to those in dire need and may even cost some their lives.

"Al-Insani"

AL-INSANI . 57 . Spring / Summer 2014

When a mirror depicts a distorted reflection

Contents

• **Protecting Humanitys the Common Goal of both International Humanitarian Law and Islamic Law** an interview By: **Zeinab Ghosn**
Before his retirement, Ameur Zemmali, former ICRC Islamic world affairs advisor, explained why he became interested in Islamic law and highlights the relationship between Islamic law and international humanitarian law.

Dossier: When a mirror depicts a distorted reflection In the 80 countries where the ICRC is present, its 12000 employees receive much appreciation for their humanitarian work in the service of victims. But they sometimes also face accusations and suspicion, particularly in the Middle East, about their work and its goals, about the emblem and its origin, and about the organization's funding. This issue shed the light on this phenomenon and speaks about it loud out of our belief that the ICRC should be judged on what it does, not on what anyone thinks it is

• **Encountering Perceptions in parts of the Muslim world and their Impact on the ICRC's ability to be effective** By: **Andreas Wigger**, ICRC Deputy Director of Operations
This article, published in the International Review of the Red Cross seven years ago, puts forward ideas that remain valid for today's world. Here, we publish a summary of the article.

• **The three emblems: A source of strength and a point of weakness** By: **Amal Ewida**
A historical overview of the evolution of the three protective emblems that are there to offer protection to the victims of conflict and to put limits on the brutality of war.

• Iran: **The reasons for accepting the ICRC's work** By: **Mojgan Mohammad**, media advisor, ICRC Tehran
This article explains how ICRC's work during the Iran–Iraq war (1980–1988) and its aftermath, and its work since on tracing the missing, has contributed to raising awareness within Iran of the organization and its activities.

• **Iraq: A contemporary experience of misunderstanding**
Three local staff members in Iraq: **Flamerz Mohammad Ali, Mustafa Sabah & Moayed Mohammed** recount the misperceptions and fears they have encountered when meeting with people who are unaware of the true nature of the ICRC's work and mission.

• **Bearing a Red Cross in the Muslim world**
Many incorrectly regard the Red Cross as a religious emblem. To dispel any doubts, here are some answers to the most frequently asked questions.

• **Yemen: ICRC's experience of overcoming the barriers of fear and suspicion**
Despite the presence of the ICRC in Yemen since 1962, the organization has recently been experiencing rumours and accusations of sectarianism and bias to one side. In response, staff members have sought to face such accusations through dialogue.

• **Testimonies from Yemen, Saudi Arabia, Kuwait and Egypt: Removing the doubts to build trust**
Read the accounts of four people who changed their understanding of the ICRC after engaging with the organisation and witnessing its activities. **Salah Bin Salem Bin Abbad AlKeldi**, imam and preacher (Yemen); **Samir Halawani**, retired engineer and humanitarian activist (Saudi Arabia); **Dr. Faisal Mohammed Al-Hamad**, political activist (Kuwait); **Ahmed Zakaria**, journalist (Egypt)

• **The testimony of a former Guantanamo detainee** By: **Sami al-Hajj**
The testimony of a Sudanese Al-Jazeera cameraman, held for six years in the Guantanamo Bay detention camp before being released in May 2008.

• **International Islamic Relief Organization and the ICRC: An alliance for humanity** By: **Dr Nabil Mousa**, Director of Research and Studies, The International Islamic Relief Organization

• **A Tribute to Michael**
In a tribute to our colleague Michael Greub Who was killed in Sirte-Libya on the 4th of June 2014 we publish a poem by the Palestinian poet Mahmoud Darwish that expresses a lot about him.

• **Camara: A second chance to live** By: **Aleksandra Matijevic Mosimann**, communications coordinator, ICRC Abuja
Camara has been working as a radio operator with the ICRC in Nigeria for more than 20 years. He is a former detainee who believes that he owes a lot to the Red Cross, even his life.

• **Misconceptions sweeping the virtual world** By: **Mohamed Allam Farghaly**, social media analyst, ICRC Cairo
Social media and the internet have allowed the ICRC to reach a broader public, and collect feedback from interested parties and observers. including misinformation and unfounded rumours.

• **Stereotypes in Egyptian cinema: The image of the religious person as an example of filmmaker bias** By: **Mahmoud Al-Ghitani**, Egyptian writer and critic
Stereotyping in the Arab world applies not only to the ICRC and its staff members, but to many other organizations and groups. The growing trend to stereotype certain groups is fast becoming a dominant and alarming feature of the Arabic media.

• **The Story of Fawzia: A Tragedy in Old Age** By: **Rima Kamal**, former media spokesperson, ICRC Damascus
The story of Fawzia is typical of hundreds of thousands of Syrians, whose lives have been turned upside down since the conflict intensified in the country.

• **Firas, from the Golan Heights to Damascus: The ICRC is my Passport** By: **Fattoum Abu Ghosh**, media officer, ICRC Jerusalem
Since 1967, the ICRC has been assisting the population of the occupied Golan Heights in different ways, such as facilitating the crossing of students who wish to complete their studies in Syrian universities. Firas is one of them.

• **Roger Mayou: Our Goal is to Raise Awareness of Humanitarian Issues** An interview by **Amal Ewida**
The International Red Cross and Red Crescent Museum reopened in May 2013, two years after it was closed for renovation. Al-Insani interviewed Roger Mayou, museum director since 1998.

• **Emir Abdelkader and The International Humanitarian Law** By: **Reem Narjis Qassem**
The text by student Reem Narjis Qassem that won a student essay competition on Emir Abdelkader and international humanitarian law, in 2013 in Adrar governorate, Algeria.

• **Descendants of Emir Abdelkader** By: **Lynda Bouali**, media officer, ICRC Algiers
Within the framework of the celebration of 150 years since the founding of the ICRC, and 130 years since the death of Emir Abdelkader, the ICRC in Algeria, Emir Abdelkader Foundation and Ministry of National Education organized a competition on the contribution of the Algerian leader to the development of international humanitarian law. The 5 winners got the chance to visit ICRC Head Quarter in Geneva.

• **Action for Hope: An Initiative for Regaining Joy** By: **Amal Ewida**
Al Mawred Al Thaqafy (Culture Resource), a regional, non-profit organization based in Cairo, launched an initiative last year to support communities affected by war through supplying them with tools of expression, learning, recovery, creativity and communication.

• **Without Retouches: Defending Half a Bed** By: **Yasser El-Zayat**, Egyptian Journalist & Poet

• **Very Short Stories: Final Surprises** By: **Adel Al-Agimi**, Egyptian writer

• **From Around the World**

Editorial

An Invitation to Responsible Communication

In an age dominated more by audio-visual culture than any other information source, many people gain their information through what they read on Twitter and Facebook or watch on Youtube. These modern means of communication have certainly enabled greater freedom of information exchange and dissemination, consigning the age of information monopoly and traditional censorship mostly to the past. However, these platforms have also opened the gates to the spread of rumours and speculation, some of which may be true, but much of which is pure fantasy.

The ICRC, on an almost daily basis, encounters such misperceptions, accusations and fantasies in many places around the world, but especially in the Middle East. Through careful monitoring of what is being said and published on social media, we have found that there are three key allegations about the ICRC. One is that the ICRC is an "evangelizing organization", another is that it is a "puppet of the West" pursuing a "colonial agenda", while yet another is that the founder of the ICRC was a Freemason!

The ICRC is no stranger to these allegations. They were, and still are, some of the slanders spread by people who are misinformed about the ICRC's activities, who misinterpret the ICRC emblem, or who simply have their own particular agenda.

Today, with the advances in communication media, and the rapidity of news and information diffusion, it is impossible to ignore these allegations or underestimate their direct and indirect effects on our operations, especially in situations of

عمل اليدين الصغيرتين

بدأ الطفل الكويتي محمد راشـــد المري (11 عامًا) الرسم في سن مبكرة، حيث كان يهوى تقليد وإعادة رسم الصور المنشورة بالصحف اليومية، ولا سيما الكاريكاتيرية منها. تعلق بقراءة قصص المشاهير والعظماء، وحرص على رسمهم، ومن بينهم: هنري دونان، مؤسس اللجنة الدولية للصليب الأحمر وما قام به من مساعدة للجرحى من ضحايا معركة سولفرينو، ثم مُضيه في مساعدة المحتاجين للحماية والعناية في أثناء النزاعات المسلحة.

في العام 2013، افتتح وزير التربية الكويتي المعرض الفني الأول لمحمد طالب الابتدائية في خطوة هي الأولى من نوعها في المنطقة. وضم المعرض نحو 73 لوحة لوجوه المشاهير، ومن بينهم: فنان عصر النهضة ليوناردو دافنشي، ورائعته الموناليزا، والعالم الفذ ألبرت أينشتاين، والزعيم الهندي المهاتما غاندي، والجنوب أفريقي نيلسون مانديلا.